الصفة الكاشفة وأثرها الدلالي في القرآن الكريم

دراسة وصفية تحليلية

إعـداد

د/ شعبان محمد فهمي عبدالمقصود

مـدرس أصـــول اللغة

في كلية اللغة العربية فرع جامعة الأزهر بالمنوفية

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢م

ض

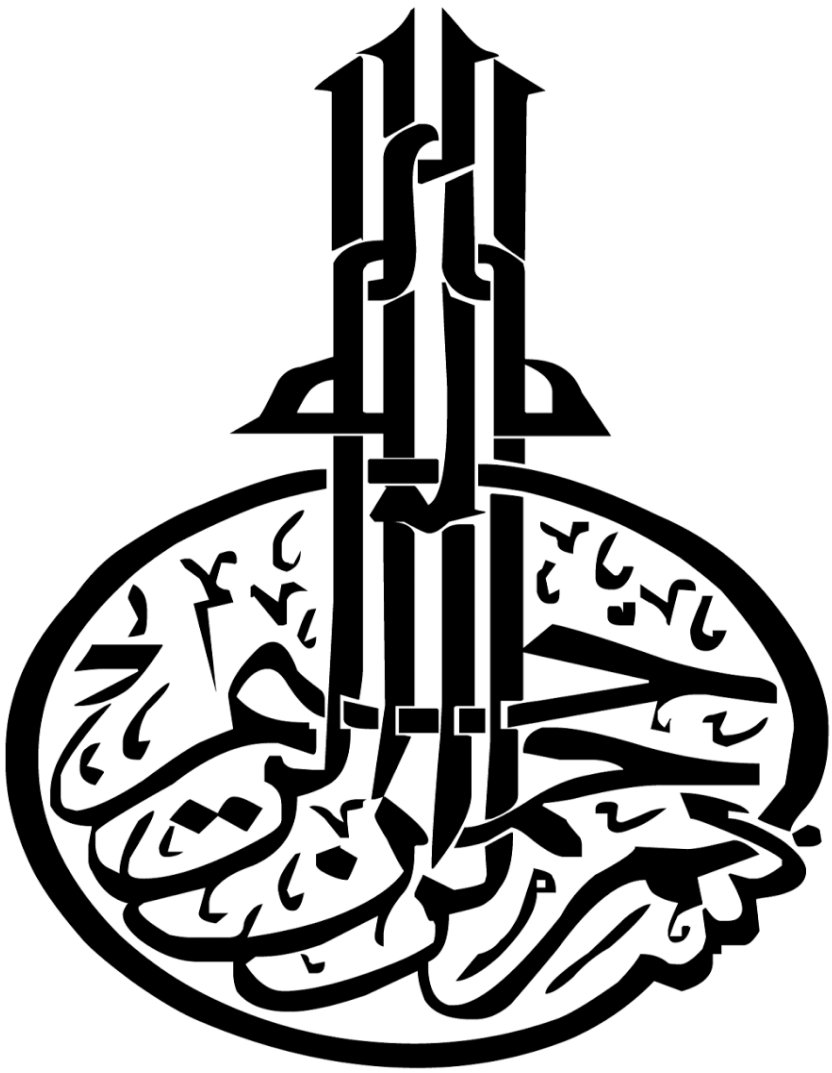

الصفة الكاشفة وأثرها الدلالي في القرآن الكريم دراسة وصفية تحليلية

شعبان محمد فهمي عبد المقصود
قسم أصول اللغة، كلية اللغة العربية بالمنوفية، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني:
shaabanabdelmaqsoud.lan@Azhar.edu.eg

ملخص البحث:

ترصد هذه الدراسة الأثر الدلالي لمفردة مغمورة من مفردات علم النحو، وهي الصفة الكاشفة، لا لبيان حكمها الإعرابي، ومطابقتها للموصوف وما شابهه مما يُعنىٰ به علم النحو، وإنما لإلقاء الضوء علىٰ دورها الوظيفي أو أثرها الدلالي في المعنىٰ القرآني، فمهدت لذلك ببيان معنىٰ الصفة، ومرادفاتها، وأقسامها، وما تكون به، ثم حصرت المواضع التي صرح فيها العلماء بأن الصفة فيها كاشفة، وصنفتها في ضوء أشكال ورودها في القرآن الكريم وأشكال الصفة في النحو العربي؛ فبدأت بالمواضع التي جاءت فيها باللفظ المفرد، ثم التي بالجملة وشبه الجملة، وفي ضوء هذا التصنيف رصدت بالدراسة والتحليل الدور الوظيفي والأثر الدلالي لهذه الصفة في كل موضع؛ فوقفت علىٰ العديد من الدلالات التي كشفت عنها هذه الصفة، ولها دورها الوظيفي في تميز الموصوف عن غيره من الأجناس التي قد تشترك معه أو تشتبه به، ومنها: قلة قدره أو حجمه، وعظمته وفخامته، ومظاهر العظمة فيه، وأصل خلقته ، وجهته، وترتيبه سواء أكان في الذكر أم في الموقع أم في التاريخ، ورتبته أو ترتيبه في المنزلة أو التعظيم، ومذهبه أو معتقده، وبلوغه الغاية في أمر من الأمور، وبعض الانفعالات النفسية التي قد تعتريه كالخوف، ومراحل تكونه أو أطواره، إلىٰ

غير ذلك مما وضحته الدراسة، مستعينة بما يعين عليه من أقوال العلماء في تفسير هذه الصفة، وما يحيط بها من عناصر لغوية وغير لغوية، ثم انتهت إلىٰ نتائج منها: ظهور الدور الوظيفي والأثر الدلالي لهذه الصفة، وتأكيد أن غاية النحو تتجاوز مسألة ضبط أواخر الكلم إلىٰ المعنىٰ، وإثبات أن الصفة الكاشفة لا يراد منها التقييد، بمعنىٰ أنه لا يحترز بها عن موصوف لم تتوفر فيه، وإنما هي صفة جيء بها للكشف عن مُبْهَم في الموصوف بها يميزه عن سائر الأجناس التي قد تشترك معه أو تشتبه به، من غير قصد إلىٰ إخراج غيره مما لم يتصف بها.

الكلمات المفتاحية: الأثر الدلالي ـ التوابع ـ الدلاليات القرآنية ـ الصفة الكاشفة ـ القرآن الكريم ـ النحو والدلالة.

The revealing adjective and its semantic impact in the Holy Qur'an
(A descriptive and analytical study)

Shaaban Mohamed Fahmy Abdel Maqsoud.
Department of Linguistics, Faculty of Arabic Language, Menoufia, Al- zhar University, Egypt
Email: *shaabanabdelmaqsoud.lan@Azhar.edu.eg*

Abstract:

This study monitors the semantic effect of an obscure term from the vocabulary of grammar, which is the revealing adjective, not to clarify its syntax rule, and its conformity with the descriptor and the like of what is meant by the science of grammar, but rather to shed light on its functional role or its semantic impact on the Qur'anic meaning. And its synonyms, its divisions, and what it is, then it enumerated the places in which the scholars declared that the adjective is revealing, and classified it in the light of the forms of its occurrence in the Holy Qur'an and the forms of the adjective in the Arabic grammar; So I started with the places in which it came in the singular, then in the wholesale and semi-sentence, and in the light of this classification, the study and analysis monitored the functional role and the semantic effect of this adjective in each place; It stood on many indications revealed by this adjective, and it has its functional role in distinguishing the described from other races that may share with him or suspect him, including: his lack of value or size, his greatness and majesty, manifestations of greatness in him, the origin of his creation, his direction, and his arrangement, whether Was he in the dhikr, in the location, or in the history, his rank or arrangement in status or glorification, his doctrine or belief, his attainment of the goal in any matter, and

some of the psychological emotions that may affect him such as fear, And the stages of its formation or phases, and other things that the study clarified, using what helps it from the sayings of scholars in the interpretation of this characteristic, and the surrounding linguistic and non-linguistic elements, and then concluded with results, including: the emergence of the functional role and the semantic effect of this characteristic, and the confirmation that The goal of grammar goes beyond the issue of adjusting the endings of words to the meaning, and proving that the revealing adjective is not intended to be restricted, in the sense that it is not guarded by it from a descriptor in which it is not available, but rather it is an adjective that was brought to reveal a vague in the descriptor that distinguishes it from all other genera that may share with it or Suspicious of him, unintentionally to bring out others that are not characterized by it.

Keywords: *Semantic effect- Dependencies- Qur'anic semantics - Revealing adjective - The Holy Qur'an - Syntax and semantics.*

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن القرآن الكريم هو الدستور الخالد والمعجزة الباقية وأحق ما يشتغل به الباحثون لاستخراج لَآلِئِهِ والكشف عن بعض حقائقه ووجوه إعجازه وتَجْلِيَةِ بعض محاسنه وأسراره.

وعلم النحو من الأهمية بمكان؛ فقد كان يطلق عند القدماء علىٰ ما يرادف علم العربية. إلا أنه في اصطلاح المتأخرين تم تخصيصه بفن الإعراب والبناء فقط، إذ عُرِّف بأنه: علم يبحث فيه عن أحوال أواخر الكلم إعرابا وبناء ، وموضوعه الكلم العربية من حيث ما يعرض لها من الإعراب والبناء. [1]؛ فغاية النحو عند المتأخرين هي معرفة الصواب والخطأ في ضبط أواخر الكلم. [2]

والحقيقة أن غاية النحو أوسع من هذه الدائرة الضيقة التي حصره فيها المتأخرون، وقد عبَّر عن هذا الاتساع ابن مالك عندما قال:

وبعـدُ: فَـالنَّحْوُ صـلاحُ الألْسِـنَة والـنَّفْسُ إنْ تُعْـدَمْ سَـنَاهُ في سِـنَة

(١) ينظر التصريح بمضمون التوضيح: خالد بن عبد الله الأزهري، المعروف بالوقاد (ت ٩٠٥هـ) تح: محمد باسل ١/ ١١، ط١ : دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢١هـ =٢٠٠٠م، وحاشية الصبان (ت ١٢٠٦هـ) علىٰ شرح الأشموني لألفية ابن مالك ١/ ٢٤ ط:١، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان١٤١٧ هـ =١٩٩٧م..

(٢) النحو والدلالة د. محمد حماسة عبد اللطيف ص٢٥ ط١: دار الشروق – القاهرة ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

بــه انكشــافُ حُجْــب المَعَــانِي وجَلْــوَةُ المفهــومِ ذا إِذْعَــانِ[1]

وهو بهذه الغاية يقترب من الغاية المستفادة من مفهومه عند المحدثين، فهو عندهم علم: "يدرس العلاقات الناشئة بشكل مطرد بين الصيغ الصرفية أو الكلمات التي تظهر في تراكيب مختلفة، كما يُعنىٰ بدارسة نظام ترتيب وتآلف الكلمات في جمل." [2]

ومن هنا اختار البحث مفردة من مفردات علم النحو، وهي الصفة الكاشفة؛ لا لدراسة حكمها الإعرابي، ومطابقتها للموصوف وما شابه ذلك مما يُعنىٰ به علم النحو، وإنما لإظهار الدور الوظيفي أو الأثر الدلالي لهذه الصفة في المعنىٰ القرآني؛ فكان موضوع البحث:

(الصفة الكاشفة وأثرها الدلالي في القرآن الكريم دراسة وصفية تحليلية)

ويهدف هذا البحث إلى أمور منها:

- بيان معنىٰ الصفة الكاشفة، والوقوف علىٰ أشكال ورودها في القرآن .
- إلقاء الضوء علىٰ الدور الوظيفي أو الأثر الدلالي لها.
- التأكيد علىٰ أن غاية النحو تتجاوز مسألة ضبط أواخر الكلم إلىٰ المعنىٰ.
- كما يهدف إلىٰ إثبات أن الصفة الكاشفة صفة لا يراد منها التقييد، بمعنىٰ أنه يحترز بها عن موصوف لم تتوفر فيه هذه الصفة، وإنما هي صفة جيء بها للكشف بها عن أمر قد أبهم في الموصوف بها يميزه من غيره من سائر الأجناس التي قد تشترك معه أو تشتبه به، من غير قصد إلىٰ إخراج غيره مما لم يتصف بها.

---

(١) شرح الكافية الشافية لابن مالك (ت ٦٧٢هـ) تح: عبد المنعم هريدي ١/ ١٥٥ ط١: أم القرىٰ ـ مكة المكرمة.

(٢) أصول تراثية في علم اللغة د. كريم زكىٰ حسام الدين ص٢٣٢ ط٢: مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ١٩٨٥م.

ولهذا البحث حدود مكانية وزمانية: فأما المكانية فهي: المواضع أو الآيات القرآنية التي نص العلماء علىٰ أن الصفة فيها كاشفة. **وأما الزمانية** فهي ما ذكرته كتب معاني القرآن والتفاسير المعتمدة والمشهورة بداية من القرن الثالث الهجري وحتىٰ القرن الثالث عشر الهجري، وما تعلق بها من دراسات في العصر الحديث في تفسير الصفة الكاشفة في هذه المواضع.

وقد دفع إلى هذا البحث عدة تساؤلات أهمها: هل تقف غاية علم النحو عند ضبط أواخر الكلم؟ وهل للصفة أنواع أو أقسام؟ وهل للصفة الكاشفة اعتبار تقوم عليه وتفترق به عن غيرها من أقسام الصفة؟ وهل وردت في القرآن الكريم؟ وهل لها دور وظيفي أو أثر دلالي في المعنىٰ القرآني؟ وهل وافقت في أشكال ورودها في القرآن الكريم أشكال الصفة في النحو العربي؟ وهل يراد بهذه الصفة التقييد؛ فيحترز بها عن الموصوف الذي لم يتصف بها؟

وكان المنهج الغالب للبحث المنهج الوصفي بأداتيه الاستقراء والتحليل، تصاحبه بعض المناهج الأخرىٰ كالتاريخي والمقارن؛ حيث قام باستقراء وتحديد المواضع أو الآيات القرآنية التي صرح العلماء بأن الصفة فيها كاشفة، وجمع ما يتعلق بتفسير هذه الصفة أو يظهر دورها في المعنىٰ من أقوال العلماء في كل موضع من المواضع، وترتيب هذه الأقوال ترتيبا تاريخيا، ومناقشتها وتحليها والمقارنة بينها، والاستعانة بما يعين علىٰ ذلك من عناصر لغوية وغير لغوية، بالإضافة إلىٰ توثيق الآيات القرآنية وتخريج القراءات والأحاديث والشواهد الشعرية من مظانها.

وأما عن الدراسات السابقة في موضوع الصفة الكاشفة فهي دراستان تنتميان إلى حقل البحوث في أصول الفقه، وهما:

١ـ ألفاظ وردت في القرآن الكريم لا مفهوم لها (الصفة الكاشفة) دراسة نظرية تطبيقية. (بحث منشور بمجلة الزهراء ـ العدد الثامن والعشرون. من إعداد د. حامد محمد المجرب ـ أستاذ مساعد في قسم الدراسات الإسلامية في كلية التربية الأساسية ـ الهيئة العامة للتعليم التطبيقي.)

٢ـ الصفة الكاشفة في القرآن الكريم ـ بيانها وأنواعها. (بحث منشور بمجلة تبيان للدراسات القرآنية العدد(١٨) سنة ١٤٣٦هـ. من إعداد الأستاذ الدكتور. فهد بن عبد الرحمن الرومي ـ الأستاذ بقسم الدراسات القرآنية ـ كلية التربية ـ جامعة الملك سعود.)

وهاتان الدراستان تناولتا نوعا معينا من الصفة الكاشفة، وهي التي وقعت في بعض الآيات القرآنية التي تتعلق بحكم شرعي أو فقهي لا مفهوم للصفة فيه؛ فتناولتاها تعريفا وتقسيما من وجهة نظر أصولية فقهية وليس من وجهة نظر لغوية دلالية.[1].

---

(١) وذلك أن علماء أصول الفقه يبحثون الصفة الكاشفة في باب طرق دلالة الألفاظ علىٰ الأحكام، التي يندرج تحتها: دلالة المنطوق ودلالة المفهوم، ويندرج تحت المفهوم: مفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة، وتوضيح ذلك أن الحكم الشرعي إما أن يكون منطوقا أو مفهوما، فالمنطوق مثل:﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء:٢٣]؛ فتحريم التأفيف منطوق به، ويفهم منه تحريم الضرب؛ لأنه من باب أولىٰ إلا أن تحريمه غير منطوق وإنما هو مفهوم، والمفهوم قد يكون مفهوم موافقة وهو: ما وافق فيه حكم المنطوق كالآية السابقة، وقد يكون مفهوم مخالفة وهو: ما كان مخالفا لحكم المنطوق مثل:﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[الطلاق:٦]. فوجوب النفقة للمطلقة الحامل منطوق به، والمفهوم أن غير الحامل لا تجب علىٰ الزوج نفقتها، وهو مفهوم مخالف لحكم المنطوق، و يشترط علماء أصول الفقه للعمل بمفهوم المخالفة شروطا معينة إن لم تتوفر أهمل القيد

ومن ثَمَّ اختلفتا اختلافا كبيرا عن الدراسة الحالية؛ فقد نظرتا إلىٰ الصفة الكاشفة من وجهة نظر علماء أصول الفقه؛ فدرستاها علىٰ أنها صورة من صور مفهوم المخالفة الذي منع من الأخذ به مانع عند الفقهاء فأصبح قيدا لا أثر له في الحكم الشرعي، وقسمتاها علىٰ أساس المانع من الاعتداد بها في الحكم، أما الدراسة الحالية فنظرت اليها من وجهة نظر لغوية دلالية؛ فدرستها علىٰ أنها صورة من صور الصفة في النحو العربي وقسمتها علىٰ أساس أشكال الصفة في النحو، وأشكال ورودها في القرآن الكريم، ووقفت علىٰ الدور الوظيفي أو الأثر الدلالي لها في المعنىٰ القرآني وليس في الحكم كما فعلت سابقتيها، **وهناك فارق كبير بين النظرين**؛ لأن النظر الأول يجعلها قيدا مهملا لا مفهوم له ولا أثر له في الحكم؛ مما يوحي بأنها لفظة فقدت قيمتها الدلالية في القرآن الكريم أو وقعت حشوا أو زيادة أو يمكن الاستغناء عنها، أما النظر الثاني فقد أظهر قيمتها الدلالية؛ إذ جعل لها دورا وظيفيا وأثرا دلاليا يأبىٰ لها أن توصف بأنها قيد مهمل أو لا

المذكور في الآية وأصبح لا أثر له في الحكم وهو ما يسمي عند الأصوليين بالصفة الكاشفة، كاشتراطهم ألا يكون القيد قد خرج مخرج الغالب كقوله تعالىٰ:﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ [النساء:٢٣] فقوله: في حجوركم قيد في موضع الصفة لا أثر له في تحريم الربيبة علىٰ زوج أمها، لأنها تحرم عليه سواء أكانت في حجره أم لا، إلا أنه نص علىٰ الحجور لأن الغالب أنها في حجره مع أمها.(ينظر: روضة الناظر لابن قدامة(ت٦٢٠هـ) ٢/ ١٣٤ ط٢ مؤسسة الريان ٢٠٠٢م، وبيان المختصر شرح مختصر بن الحاجب للأصفهاني(ت٧٤٩هـ) تح: محمد مظهر ٢/ ٤٣٠ ط:١ دار المدني ـ السعودية ١٩٨٦م) **وبناء على هذه الشروط المانعة** قسمت هاتان الدراستان الصفة الكاشفة إلىٰ أنواع بحسب هذه الموانع إلىٰ: ما خرجت مخرج الغالب، وما كانت لبيان الواقع، وما كانت جوابا لسؤال، إلىٰ غير ذلك من الأقسام أو الأنواع التي أسست علىٰ هذا المانع.

مفهوم لها. مستعينا بما يحيط بها في السياق القرآني من عناصر لغوية وغير لغوية في تأكيد هذا الدور الوظيفي والدلالي.

كما أن النظر الأول من شأنه أن يساوي بين الصفة الكاشفة وغيرها من المفردات النحوية التي تقع قيودا مهملة عند الفقهاء كالصفة المؤكدة والشرط والعدد ؛ لأنها جميعا تتفق في كونها مهملة لا مفهوم لها ولا أثر لها في الحكم؛ **ولهذا وقع الخلط في هاتين الدراستين بين الصفة الكاشفة والصفة المؤكدة**، فقد اعتبرا أن ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾في قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾[البقرة:٧٩].صفة كاشفة، وهي صفة مؤكدة كما تقول رأيت بعيني وسمعت بأذني، وقد نص أحدهما صراحة علىٰ أنها مؤكدة.(١) وكذلك في قوله تعالىٰ تلك عشرة كاملة؛ فقد نص علىٰ أن كاملة للتأكيد، كما تقول رأيت بعيني وسمعت بأذني. (٢) **كما وقع الخلط بين مفهوم الصفة الكاشفة ومفهوم الشرط**، ومن ذلك: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾[النساء:١٠١].فقد اعتبر أحدهما أن هذا من قبيل مفهوم الصفة الكاشفة مع أنه من قبيل مفهوم الشرط، وقد صرح بذلك ونص عبارته:"فشرط الخوف في قوله: إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا، معتبر أي: وإن لم تخافوا منهم أن يفتنوكم فلا

(١) ينظر: ألفاظ وردت في القرآن الكريم لا مفهوم لها (الصفة الكاشفة) دراسة نظرية تطبيقية. أ.د. حامد محمد المجرب ص ٣٠٣ (بحث منشور بمجلة الزهراء ـ العدد الثامن والعشرون.) والصفة الكاشفة في القرآن الكريم (بيانها وأنواعها) أ.د فهد الرومي ص ٤٦٧(بحث منشور بمجلة تبيان للدراسات القرآنية العدد(١٨) سنة ١٤٣٦هـ).

(٢) ينظر: ألفاظ وردت في القرآن الكريم لا مفهوم لها ص ٣٠٨

تقصروا من كيفيتها بل صلوها علىٰ أكمل الهيئات."[1] وكذلك اعتبر الآخر أن: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء:٣] من قبيل مفهوم الصفة الكاشفة مع أنه من قبيل مفهوم الشرط. [2] وفي هذا خلط بين مفهوم الصفة ومفهوم الشرط. وكذلك وقع **الخلط بين مفهوم الصفة ومفهوم العدد**، ومن ذلك: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ [التوبة:٨٠]. فقد اعتبرا أن هذا من مفهوم الصفة الكاشفة بينما هو من مفهوم العدد. [3]؛ فقد وقع الخلط بين الكاشفة وهذه الأنواع؛ لأن جميعها يتساوىٰ في كونه قيدا مهملا لا مفهوم له ولا أثر له في الحكم.

أما النظر الثاني فيأبي لها المساواة بغيرها من القيود النحوية؛ إذ ينظر إليها علىٰ أنها مفردة نحوية لها موقعها الإعرابي الذي تؤدي من خلاله دورا وظيفيا وأثرا دلاليا مستقلا لا يكون بدونها ولا يصلح له أو ينهض به قيد لغوي آخر.

وقد اقتضت خطة البحث أن يأتي في مقدمة وتمهيد ثم مبحثين وخاتمة ثم ثبت لأهم مصادر البحث ومراجعه.

فأما المقدمة فتتضمنت: عنوان البحث وأهميته وسبب اختياره وأهدافه ودوافعه وحدوده ومنهجه والدراسات السابقة له وخطته.

---

(١) الصفة الكاشفة في القرآن الكريم (بيانها وأنواعها) ص ٤٨٦

(٢) ينظر ألفاظ وردت في القرآن الكريم لا مفهوم لها ص ٣١١

(٣) ينظر ألفاظ وردت في القرآن الكريم لا مفهوم لها ٣٢٣، والصفة الكاشفة في القرآن الكريم (بيانها وأنواعها) ٤٨٢

وأما التمهيد فتضمن: التعريف بالصفة، وذكر مرادفاتها وأقسامها، والتعريف بالصفة الكاشفة، وبيان ما تكون به.

ثم جاء المبحث الأول بعنوان: الوصف باللفظ المفرد.

وجاء المبحث الثاني بعنوان: الوصف بالجملة أو شبهها.

ثم كانت الخاتمة وبها نتائج البحث وتوصياته.

ثم ثبت المصادر والمراجع.

فاللهم تقبل منا العمل وتجاوز بفضلك عن الخطأ والزلل، والحمد لله أولا وآخرا.

التمهيد: مدخل مفاهيمي

الصفة: تعريفها، مرادفاتها، أقسامها، ما تكون به.

الصفة في اللغة: الأمارة أو العلامة التي تميز الشيء؛ مأخوذة من مادة (و ص ف) التي تدور حول تَحْلِيَة الشيء، أي جعل حِلْيَة فيه تميزه عن غيره، يقول ابن فارس: "الواو والصاد والفاء أصل واحد، هو تَحْلِيَةُ الشيء...والصِّفَةُ: الأمارة اللازمة للشيء."(١)

وفي الاصطلاح: "ما دل علىٰ معنىٰ زائد علىٰ الذات ـ محسوس أو معقول."(٢)

ويرادف الصفة في هذا المعنى النعتُ.(٣) عند النحويين، يقول ابن جني: "وإنما الصفة عند النحويين هي النعت."(٤) وقد صُرِّح بهذا الترادف؛ ففي

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (ت٣٩٥هـ) تح: عبدالسلام هارون، ٦/ ١١٥ ط: دار الفكر ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

(٢) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف للمُناوِي(ت ١٠٣١هـ) ٢١٧ط١: عالم الكتب، القاهرة: ١٩٩٠م، ولها تعريفات أخرىٰ منها أنها: "الاسم الدال علىٰ بعض أحوال الذات، نحو طويل وقصير وعاقل وأحمق، وغيرها."(التعريفات للشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ١٣٣ط١: دار الكتب العلمية بيروت: ١٤٠٣هـ =١٩٨٣م) وأنها: "الأمارة القائمة بذات الموصوف."(الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة لزكريا الأنصاري(ت ٩٢٦هـ) تح: مازن المبارك، ٧٢ط١: دار الفكر، بيروت: ١٩٩١م.) وهذه التعاريف بمعنىٰ واحد وهو ما يدل علىٰ معنىٰ في الاسم الموصوف زائد علىٰ ذاته.

(٣) وهو: "تَابع يدل علىٰ معنىٰ فِي متبوعه مُطلقًا لتخصيص، أَو توضيح." (معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم للسيوطي (ت ٩١١هـ) تح: د. محمد إبراهيم عبادة ٨٤ ط/ ١ مكتبة الآداب – القاهرة، ٢٠٠٤ م)

(٤) سر صناعة الإعراب لابن جني(ت٣٩٢هـ) تح: د. هنداوي ١/ ٤٧ ط١: دار القلم، دمشق: ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م

التاج: "الوصف والنَّعْت مترادفان."[1]؛ ونظرا لهذا الترادف عُرِّف كل منهما بالآخر.[2] ووضع كل منهما موضع الآخر أو عُبِّر عنه بالآخر عند علماء النحو.[3]

ويرادفها أيضا الوصف.[4]

---

(١) تاج العروس للزَّبيدي(ت١٢٠٥هـ)(و ص ف)٢٤/ ٤٥٩ ط: المجلس الوطني، الكويت

(٢) فقد عُرِّفت الصفة بالنعت في قول الفيروزآبادي:"وصَفَهُ يَصِفُه وصْفًا وصِفَةً: نَعَتَه." (القاموس المحيط للفيروزآبادي، (و ص ف) ١/ ٨٥٩) ط ٨: مؤسسة الرسالة بيروت: ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م. وعرف النعت بالصفة في قول المناوي:"الصفة: لغة: النعت." (التوقيف علىٰ مهمات التعاريف ٢١٧)

(٣) فقد عبر سيبويه عن الصفة بالنعت فقال:" هذا باب ما جرىٰ من الصفات غير العمل علىٰ الاسم الأول إذا كان لشيء من سببه، وذلك قولك: مررت برجلٍ حسَنٍ أبوه، ومررتُ برجلٍ كريمٍ أخوه وما أشبه هذا، نحو المسلم والصالح والشيخ والشاب. وإنما أُجريت هذه الصفات علىٰ الأول حتىٰ صارت كأنها له لأنك قد تضعها في موضع اسمِه فيكون منصوبا ومجرورا ومرفوعا، والنعتُ لغيره."(الكتاب لسيبويه(ت١٨٠هـ) تح: هارون ٢/ ٢٢ ط٣: الخانجي، القاهرة: ١٩٨٨م) وكذلك فعل المبرد فقال:"هَذَا بَاب معرفَة بَنَات الاربعة الَّتِي لَا زِيَادَة فِيهَا ـ فَمِنْهَا مَا يكون علىٰ فَعْلَل فَيكون اسْما وصِفة فالاسم نَحْو جَعْفَر ونهْشل والنعت مثل سَلْجَم وسلْهَب." (المقتضب للمبرد(ت٢٨٥هـ) تح: د. محمد عبد الخالق عضيمة، ١/ ٦٦ط: عالم الكتب، بيروت) فقد عبر في هذا الموضع عن الصفة بالنعت، ثم عكس الأمر في موضع آخر وعبر عن النعت بالصفة فقال:"(هَذَا بَاب معرفَة بَنَات الْخَمْسَة من غير زِيَادَة) وَهِي علىٰ أَربعة أَمثلة مِنْهَا فَعَلَّل وَهُوَ يكون اسْما ونعتا فالاسم نَحْو السَّفَرْجَل وَالصّفة نَحْو شَمَرْدَل." (المقتضب ١/ ٦٨).

(٤) وهو:" الْمَعْنىٰ الْقَائِم بِذَات الْمَوْصُوف." الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة للسنيكي ٧٢ ، أو هو :"ما دلّ علىٰ الذَّات بِاعْتِبَار معنىٰ هُوَ الْمَقْصُود من جَوْهَر حُرُوفه أَي يدل علىٰ الذَّات بِصفة كأحمر فَإِنَّهُ بجوهر حُرُوفه يدل علىٰ معنىٰ مَقْصُود

ففي اللباب:"فأمَّا الصّفة فهي عند النحويَّين بِمَنْزِلَة الوَصْف."[١] والوصف والصفة مصدران للفعل وصف.[٢] بمعنىٰ حَلَّىٰ الشيءَ، أي: جعل عليه حلية تميزه، أو بمعنىٰ نعته.[٣]

والوصف يرادف النعت، فهما بمعنىٰ واحد، يقول العكبري: "النَّعْت والوَصْف بمعنىٰ."[٤] وهذا الترادف مُصرح به؛ ففي جامع العلوم: "الوصف في اللغة: بيان سير الشيء وخصائله، وعند النحاة كون الاسم دالا علىٰ ذات مبهمة مأخوذة مع بعض صفاتها سواء كانت هذه الدلالة بحسب الوضع مثل أحمر. أو بحسب الاستعمال مثل أربع في مررت بنسوة أربع. وقد يستعمل مرادفا للنعت."[٥]

هُوَ الْحمرَة." (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت ق ١٢هـ) ٣/ ٣١٣، ط/ ١ دار الكتب العلمية ، لبنان ـ بيروت ٢٠٠٠م)

(١) اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري(ت٦١٦هـ) تح: عبد الإله النبهان ١/ ٤٠٤ ط١: دار الفكر، دمشق١٩٩٥م.

(٢) في جامع العلوم: "الوَصْف والصفة مصدران كالوعد والعِدَة." (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ٣/ ٣١٣)

(٣) كما في قول ابن سيده:" وَصَفَ الشيءَ لَهُ وَعَلَيْهِ وَصْفًا وصِفَةً: حَلَّاه." (المحكم لابن سيده (ت٤٥٨هـ) تح: هنداوي،(ص ف و ـ وصف) ٨/ ٣٨٣ ط١: دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢١ هـ = ٢٠٠٠ م ، ولسان العرب لابن منظور (ت٧١١هـ)، (و ص ف) ٩/ ٣٥٦ ط٣: دار صادر، بيروت: ١٤١٤هـ.) وكما في قول الفيروزآبادي:"وصَفَهُ يَصِفُه وصْفًا وصِفَةً: نَعَتَه." (القاموس المحيط(و ص ف) ١/ ٨٥٩، وتاج العروس(و ص ف)٢٤/ ٤٥٩)

(٤) اللباب في علل الإعراب والبناء ١/ ٤٠٤

(٥) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ٣/ ٣١٣

ومن هذا يتضح أن الألفاظ الثلاثة مترادفة في المعنى، فالصفة والوصف والنعت مسميات لمسمى واحد.

وفي التصريح:" باب النعت، ويرادفه الصفة والوصف."[1]؛ وهذا ما اختاره البحث وسار عليه؛ إذ استعمل الوصف والنعت بمعنىٰ الصفة.

وأما عن تعريف الصفة الكاشفة في الاصطلاح فلم يعثر الباحث علىٰ تعريف اصطلاحي لها إلا عند الفقهاء، ففي تحفة المحتاج:" الصفة الكاشفة هي المُبَيِّنَةُ لحقيقة متبوعها كقولهم: الجسم الطويلُ العريضُ العميقُ يحتاج إلىٰ فراغ يَشْغَلُه."[2]

إلا أن الباحث يرى أن هذا التعريف فيه نظر؛ لأنه وإن وضح دور الصفة بأنه بيان حقيقة متبوعها إلا أنه أهمل دورها في تمييز الموصوف عن غيره من سائر الأجناس التي قد تشترك معه في هذه الحقيقة، كما أهمل التنبيه علىٰ مدىٰ تحقق دورها الوظيفي من جهة كونها قيدا لغويا يحترز به عن غير الموصوف بها؛ فهل يخرج بها أم لا؟

ولهذا يرى أنه من الممكن أن تُعَرَّف في اصطلاح اللغويين بأنها: صفة جيء بها للكشف بها عن أمر قد أبهم في الموصوف يميزه من سائر الأجناس التي قد تشترك معه أو تشتبه به، من غير قصد إلىٰ إخراج غيره مما لم يتصف بها؛ فهي صفة لا يراد منها التقييد، بمعنىٰ أنه لا يحترز بها عن موصوف لم تتوفر فيه هذه الصفة.

---

(١) التصريح بمضمون التوضيح ٢/ ١٠٧

(٢) تحفة المحتاج في شرح المنهاج لا بن حجر الهيتمي(ت٩٧٤هـ) ١/ ٣٣٨ ط: المكتبة التجارية ـ مصر ١٩٨٣م، ونهاية المحتاج إلىٰ شرح المنهاج للرملي(ت ١٠٠٤هـ) ١/ ٢٧٤ ط:أخيرة : دار الفكر، بيروت ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م)

وهذا التعريف مستفاد من هذه الدراسة، ومن التعرف على أقسام الصفة؛ وذلك أن الصفة الكاشفة هي أحد أقسام الصفة باعتبار النظر إلىٰ حال الموصوف؛ فالصفة بهذا الاعتبار تنقسم إلىٰ: كاشفة، ومُخَصِّصَة، ومُؤَكِّدَة، ومادحة أو ذامَّة؛ فقد جاء في الكليات: "والصفة علىٰ أربعة أوجه: فإن الموصوف إما أن لا يعلم فيراد تمييزه من سائر الأجناس بما يكشفه فهي الصفة الكاشفة وإما أن لا يعلم أيضا لكن التبس من بعض الوجوه فيؤتىٰ بما يرفعه فهي الصفة المخصصة، وإما أنه لم يلتبس ولكن يوهم الالتباس فيؤتىٰ بما يقرره فهي الصفة المؤكدة وإلا فهي الصفة المادحة والذامة."(١)

فهذا النص يفيد أن الموصوف له أربعة أحوال: أن يكون غير معلوم بين سائر الأجناس التي تشبهه؛ فيوصف بما يكشف حقيقته فيتميز به من سائر الأجناس؛ فتكون الصفة كاشفة. وإما أن يكون غير معلوم كسابقه لكنه يتفق مع بعض هذه الأجناس في بعض الوجوه، فيوصف بما يخصصه؛ فلا يلتبس بغيره مما يتفق معه؛ فتكون الصفة مخصصة، وإما أن يُتَوَهَّم التباسه بغيره؛ فيحتاج إلىٰ ما يرفع هذا الوهم ويقرر اختصاصه بالوصف المذكور فتكون الصفة لتأكيد هذا الاختصاص؛ فإذا خلا من الأحوال الثلاثة السابقة كانت الصفة إما للمدح وإما للذم. والأمثلة توضح هذا الأمر.(٢)

---

(١) الكليات لأبي البقاء الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) تح: عدنان درويش ٥٤٥ ط: مؤسسة الرسالة – بيروت

(٢) فأما الكاشفة فهي كوصف(القاتلات) في قول الشاعر: لعاب الأفاعي القاتلات لعابه. يقول البغدادي:" واللعاب مَا يسيل من الْفَم والقاتلات صفة كاشفة للأفاعي ذكرهَا تهويلا." (خزانة الأدب للبغدادي(ت١٠٩٣هـ) تح: عبد السلام هارون،

والصفة أو النعت يكون باللفظ المفرد سواء أكان مشتقا.(١)، أم جامدا مشبها للمشتق في المعنىٰ، كأسماء الإشارة.(٢)

١/ ٤٤٧ ط٤: الخانجي، القاهرة: ١٩٩٧م) وأما المخصصة نحو قوله تعالىٰ:(يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل (١٥٨) يقول الطاهر ين عاشور:"وجملة: لم تكن آمنت من قبل صفة نفسا، وهي صفة مخصصة لعموم: نفسا، أي: النفس التي لم تكن آمنت من قبل إتيان بعض الآيات لا ينفعها إيمانها إذا آمنت عند نزول العذاب، فعلم منه أن النفس التي كانت آمنت من قبل نزول العذاب ينفعها إيمانها في الآخرة." (التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، ٨/ ١٨٧ ط: الدار التونسية، تونس: ١٩٨٤ هـ.) وأما المؤكدة نحو قوله تعالىٰ:(لا تتخذوا إلهين اثنين)، يقول السيوطي:"فإن إلهين للتثنية، فاثنين بعده صفة مؤكدة للنهي عن الإشراك، ولإفادة أن النهي عن اتِّخاذ إلهين، إنما هو لمحض كونهما اثنين فقط، لا لمعنىٰ آخر من كونهما عاجزين أو غير ذلك." (الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (ت ٩١١هـ) تح: محمد أبو الفضل ٣/ ٢٣٣ ط: الهيئة المصرية، ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤ م) ومن أمثلة المادحة: مررت بزيد الكريم، ومن أمثلة الذامَّة: مررت بزيد الفاسق." (شرح ابن عقيل(ت ٧٦٩هـ) علىٰ ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين ٣/ ١٩١ ط:٢٠، دار التراث – القاهرة، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م)

(١) وهو ما دلّ علىٰ الحدث وصاحبه كاسم الفعل واسم المفعول.(ينظر التصريح بضمون التوضح٢/ ١١٣) مثل: الغنيُّ الشاكرُ خيرٌ عند الله من الفقيرِ الصابرِ. و:شيئان يجلبان العار: الحقُّ المنهوبُ والشرفُ المسلوبُ (النحو المصفىٰ: محمد عيد ٥٧٩ ط: مكتبة الشباب)

(٢) وهو ما يفيد من المعنىٰ ما يفيده المشتق، ويسمىٰ المؤول بالمشتق كأسماء الإشارة، نحو: مررت بزيد هذا. فكلمة هذا تؤول بكلمة مشتقة وهي: المشار إليه. (ينظر التصريح بمضمون التوضيح ٢/ ١١٣، و النحو المصفىٰ ٥٨٠)

أم مصدرا.[١]، ويكون بالجملة.[٢]، وبشبه الجملة.[٣]؛ **وعلى هذا الأساس انقسم البحث إلى مبحثين:**

الأول: الوصف باللفظ المفرد.

الثاني: الوصف بالجملة أو شبهها.

ونظرا لما تقتضيه طبيعة الأبحاث التي تنشر في المجلات العلمية من الإيجاز والاختصار؛ اقتصر البحث علىٰ المواضع القرآنية التي صرح العلماء بأن الصفة فيها كاشفة.

❁❁❁❁❁

(١) والنعت به علىٰ خلاف الأصل وإذا نعت به يلزم الإفراد والتذكير، نحو: هذا رجل عدلٌ، وشهادةُ امرأتين عَدْلٍ تقوم مقام رجلٍ فَرْد (ينظر التصريح بمضمون التوضيح ٢/ ١١٧، والنحو المصفىٰ ٥٨١)

(٢) سواء أكانت اسمية أم فعلية نحو قوله تعالىٰ:{واتقوا يوما ترجعون فيه إلىٰ الله }[البقرة: ٢٨١] فجملة : ترجعون ـ في موضع نصب نعت لـ: يومًا، ونحو: دعا الإسلامُ إلىٰ أمةٍ كلمتُها واحدة، وإلىٰ مجتمعٍ يتكافل أهلُه. فجملة: كلمتها واحدة. جملة اسمية في محل جر صفة لكلمة أمة. وجملة: يتكافل أهله. جملة فعلية في محل جر صفة لكلمة مجتمع (ينظر التصريح بمضمون التوضيح ٢/ ١١٤، والنحو المصفىٰ ٥٨١)

(٣) ويقصد بها: الظرف والجار والمجرور، مثل قوله تعالىٰ:{ومنا دون ذلك }[الجن: ١١] أي: فريق دون ذلك، و ورأيت نجمًا بين السحاب. ظرف المكان(بين) في موضع الصفة لنجمًا. ونحو: قرأت كتابًا في التفسير. الجار والمجرور (في التفسير) قد خصص الكتاب وضيق دائرة عمومه فهو في موضع الصفة (التصريح بمضمون التوضيح ٢/ ١٢٨، والرابط وأثره في التراكيب في العربية د. حمزة عبد الله النشرتي ص١٤٥(بحث منشور بمجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، العددان السابع والستون والثامن والستون الصادر في رجب ـ ذو الحجة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

المبحث الأول: الوصف باللفظ المفرد

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[البقرة:٤١].

في هذه الآية الكريمة جاء وصف﴿قَلِيلًا﴾صفة لـ﴿ثَمَنًا﴾**ولا يُعقل أن** يكون الغرض من هذا الوصف بهذه الصفة التقييد؛ لأنه لا يعقل أن يكون المراد النهي عن الثمن القليل فقط فإذا كان كثيرا جاز ذلك؛ إذ ليس المراد اعتبار ثمنين من أثمان الدنيا قليل وكثير.[1]، **وإنما هذه صفة كاشفة، لها دورها الدلالي في الكشف** عن قدر أو حجم هذا الثمن الذي تباع به آيات الله؛ فهو قليل بالنسبة لها مهما بلغ من الكثرة أو العظم، يقول الطاهر بن عاشور: "وَصْفُ ﴿قَلِيلًا﴾صِفَةٌ كَاشِفَةٌ؛ لأن الثمن الذي تُبَاعُ به إِضَاعَةُ الْآيَاتِ هو قَلِيلٌ ولو كان أَعْظَمَ مُتَمَوِّلٍ بالنسبة إلىٰ ما أَضَاعَهُ آخِذُ ذلك الثمن."[2]

وبجوار هذا التصريح بنوع الصفة ودورها الدلالي كانت هناك وسائل أخرىٰ أشارت إليه، منها: التعليل لتسمية المشترىٰ قليلا، فقد ورد: "إنما سماه قليلاً، لأن الدنيا كلها قليل."[3] وورد: "إنما سمي هذا الجزاء قليلا؛ لأن كل ما عدا الحق قليل وحقير بالنسبة إليه، وكيف لا يكون قليلا وصاحبه يخسر عقله وروحه قبل كل شيء لإعراضه عن الآيات البينات،

---

(١) ينظر تفسير الراغب الأصفهاني(ت ٥٠٢هـ) تح: د. محمد بسيوني ١/ ١٧٠ ط:١ كلية الآداب ١٩٩٩ م

(٢) التحرير والتنوير(١/ ٤٦٥).

(٣) بحر العلوم للسمرقندي(ت٣٧٣هـ) ١/ ٤٨

والبراهين الواضحات؟ ثم إنه يخسر عز الحق وما يكون له من الشأن العظيم وحسن العافية، ثم إنه يخسر مرضاة الله تعالي وتحل به نقمه في الدنيا وعقوبته في الآخرة."[1]؛ فهذا يشير إلىٰ أن هذا الثمن قليل حقير مهما بلغ من الكثرة أو العظم.

ومنها أيضا تفسير العلماء لهذه الآية بما يصور هذه القلة المتناهية التي تكشف عنها هذه الصفة، ومن ذلك: "لا تبيعوا ما آتيتكم من العلم بكتابي وآياته بثمن خسيس وعرض من الدنيا قليل."[2] و:"لا تؤثروا علىٰ عظيم حقي خسيس حظّكم."[3] و:"لا تستبدلوا بالإيمان بآياتي، والاتباع لها حظوظ الدنيا الفانية القليلة المسترذلة بالنسبة إلىٰ حظوظ الآخرة وما أعد الله تعالىٰ للمؤمنين من النعيم العظيم الأبدي."[4]؛

وقد أكد على هذا الكشف الدلالي لهذه الصفة عدة أمور:

١ـ السياق الخارجي المتمثل في الظروف التي أحاطت بهذه الآية وقت نزولها، وهي أن رؤساء اليهود وعلماءهم كانوا يصيبون المآكل من

---

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) ١/ ٢٤٢، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، وينظر تفسير المراغي(ت١٣٧١هـ) ١/ ١٠١ ط/ ١، البابي الحلبي، ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م

(٢) جامع البيان للطبري(ت ٣١٠هـ) تح: أحمد شاكر ١/ ٥٦٥، ط١: الرسالة، بيروت: ٢٠٠٠ م، وينظر تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي(ت ٣٢٧هـ) تح: أسعد الطيب ١/ ٩٧ ط٣: مصطفي الباز، السعودية ١٤١٩هـ.

(٣) لطائف الإشارات للقشيري (ت ٤٦٥هـ) تح: إبراهيم البسيوني ١/ ٨٥ ط:٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٤) أنوار التنزيل للبيضاوي (ت٦٨٥هـ) تح: محمد عبد الرحمن، ١/ ٧٦ ط١: دار إحياء التراث، بيروت: ١٤١٨هـ ، وروح المعاني للآلوسي (ت ١٢٧٠هـ) تح: علي عطية ١/ ٢٤٧ ط:١، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٥ هـ

سفلتهم وجهالهم ويأخذون منهم في كل سنة شيئا معلوما من زرعهم وثمارهم ونقودهم وضروعهم فخافوا إن بينوا صفة محمد ﷺ وتابعوه أن تفوتهم تلك المآكل، وأخذهم الأجر ممن بينوا له ذلك علىٰ ما بينوا له منه؛ فغيروا نعته وكتموا اسمه واختاروا الدنيا علىٰ الآخرة وأصروا علىٰ الكفر؛ لئلا ينقطع عنهم ذلك القدر المحقر.(١)؛ **فجاء وصف القلة ليعلمهم أن:** "الدنيا كلها بالنسبة إلىٰ الدين قليلة جدا فنسبتها إليه نسبة المتناهي إلىٰ غير المتناهي، ثم تلك الهدايا كانت في نهاية القلة بالنسبة إلىٰ الدنيا، فالقليل جدا من القليل جدا أي نسبة له إلىٰ الكثير الذي لا يتناهىٰ؟"(٢) أو ليعلمهم أن: "الدنيا بالنسبة إلىٰ الآخرة كالشيء اليسير الحقير الذي لا قيمة له والذي كانوا يأخذونه من الدنيا كالشيء اليسير بالنسبة إلىٰ جميعها فهو قليل القليل."(٣)

٢ـ **السياق الداخلي** المتمثل في بعض العناصر اللغوية المحيطة بهذه الصفة وهي:

(أ) ـ **أن الاشتراء هنا ليس على حقيقته** وإنما هو مجاز عن الاستبدال لأنه وقع في الأعيان، فقد استعير الاشتراء للاستبدال للمشابهة

(١) ينظر جامع البيان للطبري ١/ ٥٦٥، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم ١/ ٩٧، والكشاف للزمخشري ١/ ١٣٢، ومفاتيح الغيب للرازي ٣/ ٤٨٤، ولباب التأويل للخازن ١/ ٤١

(٢) مفاتيح الغيب للرازي(ت٦٠٦هـ) ٣/ ٤٨٤ ط٣: دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤٢٠هـ.

(٣) لباب التأويل للخازن (ت ٧٤١هـ) تح: محمد شاهين ١/ ٤١، ط:١، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٥ هـ

بينهما في كون كل منهما مرغوبا فيه.[1]؛ وهذا يدل علىٰ أن عملية الاشتراء هذه وإن كان ظاهرها الاشتراء إلا أنها في واقع الأمر استبدال، فكأنه هنا يتحدث بما يعتقدون؛ فهم يعتقدون أنهم عندما يدفعون الآيات ويشترون بها الدنيا أنهم قد أجروا عميلة بيع واشتراء طبيعية ناجحة كالتي تجري بين البائع والمشترىٰ في مختلف السلع بحيث يخرج كل منهما راض عند صفقته التي عقدها، والحقيقة أنهم غافلون؛ لأن ما يفعلونه وإن كان ظاهره ذلك إلا أنه في الواقع استبدال؛ لأن في البيع والاشتراء الحقيقي يكون الشيء المشترَىٰ والثمن كل منهما مرغوبا فيه فمن باع يرغب في الثمن الذي باع به ومن اشترىٰ يرغب في الشيء الذي اشتراه، أما في الاستبدال فأحد الشيئين متروك مرغوب عنه؛ ولهذا لابد من دخول الباء علىٰ أحدهما ليكون ثمنا للآخر؛ فيكون هو المتروك المستغنىٰ عنه؛ فكأنه بهذا الاستعمال يصحح لهم اعتقادهم بأن ما فعلوه ليس اشتراء وإنما هو استبدال؛ إذ جعلوا الآيات ثمنا يشترون بها؛ فجعلوها مما يترك ويستغنىٰ عنه في مقابل غيره، ثم واصل تصحيح هذا الاعتقاد فأعلمهم أن ما اشتروه وجعلوا الآيات ثمنا له وضحوا بها وتركوها من أجله قليل مهما بلغ من الكثرة والعظم.

ويدل على ذلك دخول الباء على الآيات، والقياس أن تدخل علىٰ ما هو ثمن؛ لأن الثمن في البيع حقيقتُه أن يُشْتَرَىٰ به لا أن يُشْتَري؛ لكن لَمَّا دخل الكلام معنىٰ الاستبدال جاز ذلك، لأنه في الاستبدال تدخل الباء علىٰ الزائل أو المتروك، ومنه في الشعر قوله:

---

(١) ينظر الدر المصون للسمين(ت ٧٥٦هـ) تح: الخراط ١/ ٣١٩ ط: دار القلم، دمشق. وروح المعاني للألوسي ١/ ٢٤٧

فـإنْ تَـزْعُمِينِي كُنْـتُ أَجْهَـلُ فـيكم فـإنِّي شَـرَيْتُ الحِلْـمَ بعـدكِ بالجَهْـلِ[1]

ولهذا فسر أبو حيان الاشتراء في الآية بالاستبدال فقال: "المعنىٰ، واللهأعلم: ولا تستبدلوا بآياتي العظيمة أشياء حقيرة خسيسة."[2]

(ب) ـ أن العطاء الدلالي لدخول الباء على الآيات لم يتوقف علىٰ أن الاشتراء بمعنىٰ الاستبدال، وإنما تجاوزه إلى الدلالة على تنزيل الآيات منزلة الدراهم والدنانير وغيرهما من الأثمان؛ لأن القاعدة أن الباء إنما تدخل علىٰ الأثمان فإذا وقع المعاوضة في شيئين لا يكونان ثمنا معلوما (كالدراهم والدنانير فهما ثمن أبدا) أدخلت الباء علىٰ أي الشيئين شئت كقولك: اشتريت ثوبا بكساء. فلك أن تدخل الباء علىٰ أيهما شئت وتجعله ثمنا لصاحبه؛ لأنه في الأصل ليس من الأثمان، وعلىٰ هذا كل ما ليس من الأثمان كالرقيق والدور وغيرهما، فإذا جئت إلىٰ مالا يكون إلا ثمنا كالدراهم والدنانير وجب وضع الباء في الثمن، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾[يوسف:٢٠]؛ فقد دخلت الباء في الثمن لأن الدراهم ثمن أبدا، والباء إنما تدخل في الأثمان، ولهذا عندما دخلت الباء علىٰ الآيات ـ

---

(١) الدر المصون ١/ ٣١٩ ، والبيت من الطويل، وهو لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين ١/ ٣٦ ط:٢ دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٩٩٥م، ومعنىٰ تزعميني: تظنيني، وشريت الحلم، أي: بعت الجهل بالحلم(ينظر ديوان الهذليين بشرح أبي سعيد الحسن بن الحسين السُّكَّري، تج: عبدالستار فراج ١/ ٩٠ ط: دار العروبة ـ القاهرة ١٩٦٥م).

(٢) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي(ت ٧٤٥هـ) تح: صدقي جميل ١/ ٢٨٨ ط: دار الفكر، بيروت: ١٤٢٠ هـ.

وهي ليست من الأثمان كالدراهم والدنانير دلت علىٰ أن من فعل هذا فقد جعل آيات الله كالدراهم والدنانير ثمنا واشترىٰ به الحظ الخسيس من الدنيا.[١]

(ج) ـ **تسمية المشترى ثمنا**؛ فالتعبير عنه بالثمن مع كونه مشتري لا مشترىٰ به يدل علىٰ كونه كالثمن في الاسترذال والامتهان؛ وفي هذا تقريع وتجهيل قوي؛ فقد قلبوا القضية وجعلوا المقصود آلة والآلة مقصودة عندما جعلوا المشترىٰ ثمنا بإطلاق الثمن عليه، ثم جعلوا الثمن مشترىٰ بإيقاعه بدلا لما جعله ثمنا بإدخال الباء عليه.[٢] وصح إطلاق الثمن عليه؛ لأنهم جعلوه عوضا فانطلق عليه اسم الثمن وإن لم يكن ثمنا.[٣]؛ وتنزيله منزلة الثمن في الاسترذال والامتهان يتوافق مع وصف القلة ويؤكد عليه.

(د) ـ **الاقتران السياقي** بـ:﴿وَإِيَّىَ فَٱتَّقُونِ﴾[البقرة:٤١]؛ ففي الآية الأولىٰ[٤] اقترن الأمر بذكر النعمة والوفاء بالعهد بالرهبة، وأما في الآية الثانية[٥] فقد اقترن الأمر بالإيمان بما أنزل والاشتراء به ثمنا قليلا بالتقوىٰ؛ لأن ترك ذكر النعمة والوفاء بالعهد معصية أما ترك الإيمان بما أنزل

---

(١) ينظر معاني القرآن للفراء(ت ٢٠٧هـ) تح: أحمد النجاتي١/ ٣٠ ط١: دار المصرية، والدر المصون للسمين ١/ ٣١٩

(٢) روح المعاني ١/ ٢٤٧

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٣٣٤

(٤) قوله تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾ [سورة البقرة:٤٠].

(٥) قوله تعالىٰ: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ٤١﴾ [سورة البقرة:٤١].

والاشتراء به ثمنا قليلا كفر؛ فناسب الأول ذكر الرهب؛ لأنه أخف؛ إذ هو معصية يجوز العفو عنها، أما الثاني فناسبه ذكر التقوىٰ؛ لأنه كفر لا يجوز العفو عنه؛ إذ التقوىٰ اتِّخاذُ الوقايةِ لِما هو كائنٌ لا بُدَّ منه.(١)؛ فهذا يدل علىٰ أن جعل الآيات ثمنا لأي شيء كفر يجب أن يُتوقىٰ منه؛ فيستوي قليله وكثيره؛ لأنه مهما بلغ فهو قليل حقير؛ إذ يؤدىٰ إلىٰ خسارة ما أعده الله تعالىٰ لمن آمن به وبما أنزل ولم يشتر بآياته غيرها.

٣ـ أن وصف القلة له في ذاته دلالات تتوافق مع هذا الكشف وتؤكده، ومنها:

(أ) ـ أن القلة يعبر بها عن النفي، فعند الراغب: "وقليل يعبّر به عن النّفي، نحو: قَلَّمَا يفعل فلان كذا."(٢) والمعنىٰ علىٰ هذا: أن آيات الله أكبر من أي ثمن؛ لأن كل ثمن لها لا يكون إلا قليلا؛ وذلك أن نفي الثمن القليل نفي لكل ثمن.(٣)

(ب) ـ أن في استعمال القلة مزيد إظهار لشناعة فعلهم وقلة معرفتهم وسوء نظرهم، يقول ابن جماعة: "ما فائدة قليلا، والكثير كذلك؟ جوابه: فيه مزيد الشناعة عليهم لأن من يشترىٰ الخسيس بالنفيس لا معرفة له ولا نظر."(٤)

---

(١) ينظر الدر المصون ١/ ٣٢٠

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب (ت ٥٠٢هـ) تح: صفوان عدنان ١/ ٦٨١ ط١: دار القلم، دمشق: ١٤١٢هـ

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي (ت ٧٩٤هـ) تح: محمد أبو الفضل ٣/ ٣٩٧ ط/ ١، الحلبي ١٩٥٧م

(٤) كشف المعاني لأبي عبد الله الكناني(ت ٧٣٣هـ) تح: د.عبد الجواد خلف ٩٤ ط/ ١، دار الوفاء ـ المنصورة١٩٩٠م.

(ج) ـ أن (القليل) من الألفاظ التي لا تقتصر في دلالتها على معناها على ذات اللفظ وإنما تتجاوزه إلىٰ الدلالة عليه باعتبار غيرها؛ فيتأكد معناها، يقول الراغب: "القليل والكثير من الأسماء المتضايفة، ويعتبران بالغير؛ فليس استعمال القلة في قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ لأجل اعتبار ثمنين من أعراض الدنيا، كما تصوره بعض الناس فاعترض علىٰ الآية: وقال: ذلك يقتضي جواز اشتراء الثمن الكثير بآيات الله، بل جعل الاعتبار ههنا بمنافع الدنيا والآخرة، وقد علمنا أن منفعة الدنيا طفيفة، إذا اعتبرت بمنفعة الآخرة، وإذا كان كذلك، فمن اشترىٰ بآيات الله منافع الدنيا، وترك منافع الآخرة، فقد خسر خسرانًا مبينًا."[1]

(د) ـ أن الوصف بالقلة ينقل للمتلقي صورة غريبة تنبيء عن مدى الحمق والخطأ، وهي صورة قلب الصفقة؛ فالصفقة الناجحة هي التي يأخذ فيها الإنسان مقابلا أكثر مما يعطي؛ فإذا أخذا أقل مما أعطىٰ كانت صفقة مقلوبة؛ ومن ثَمَّ تكون خاسرة؛ لأنه أعطىٰ أكثر مما أخذ، وكأن الآية تقول: تدفعون آيات الله التي تكون منهجه المتكامل لتأخذوا عرضا من أعراض الدنيا قيمته قليلة ووقته قصير؛ هذا قلب للصفقة. وجاء القلب أيضا من وجه آخر، وهو أنه جعل الثمن سلعة؛ حيث جعل آيات الله ثمنا لتحصيل مكاسب دنيوية، وليته جعلها ثمنا غاليا بل جعلها ثمنا رخيصا؛ وهذ قلب؛ ففي الصفقات الأثمان دائما تدفع والسلعة تؤخذ، وهو هنا جعل الثمن الذي يجب أن يكون مدفوعا مشترىً وهذا من الحمق والخطأ.[2]

❁❁❁❁❁

(١) تفسير الراغب ١/ ١٧٠

(٢) ينظر تفسير الشعراوي ١/ ٢٩٦ ط: مطابع أخبار اليوم ١٩٩٧م

الموضع الثاني: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾[سورة طه: ٤].

﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾، أي: "العالية الرفيعة."(١)، و:"﴿ٱلْعُلَى﴾ جمع العليا، يقال: سماء عُلْيَا وسمواتٌ عُلًى، مثل الكبرىٰ والكُبَر."(٢) و﴿ٱلْعُلَى﴾صفة للسماوات.(٣)

وهذه الصفة صفة كاشفة لها وظيفتها في الكشف عن أمرين:

أولهما: زيادة تقرير معنى عظمة الخالق وفخامته سبحانه وتعالىٰ.

والثاني: الكشف عن عظمة شأن القرآن الكريم؛ وذلك أن هذه الصفة إذا كانت قد كشفت عن عظمة شأن الخالق سبحانه فإنها قد كشفت عن عظمة شأن القرآن الكريم أيضا؛ لأنه تنزيل من خلق السماوات علىٰ علوها وعظمها؛ فكان الكشف عن عظمة المنزل وهو الله سبحانه وتعالىٰ كشفا عن تعظيم شأن المنزَل وهو القرآن الكريم. يقول الطاهر بن عاشور:"وصف والسماوات بالعلىٰ صفة كاشفة زيادة في تقرير معنىٰ عظمة خالقها. وأيضا لما كان ذلك شأن منزل القرآن لا جرم كان القرآن شيئا عظيما." (٤)

---

(١) الكشف والبيان ٦/ ٢٣٨، وينظر معالم التنزيل للبغوي ٣/ ٢٥٥، ولباب التأويل للخازن ٣/ ٢٠٠

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٥٠، وينظر الكشف والبيان للثعلبي ٦/ ٢٣٨،

(٣) ينظر الكشاف للزمخشري ٣/ ٥١، ومدارك التنزيل للنسفي ٢/ ٣٥٧، وروح المعاني للآلوسي ٨/ ٤٦٩ ، وإعراب القرآن للدعاس ٢/ ٢٥٤، وإعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين درويش ٦/ ١٦٤

(٤) التحرير والتنوير١٦/ ١٨٦.

وتأتي دلالة وصف السماوات بالعلى علىٰ عظم شأن وقدرة وقوة من خلقها من جهة أن من يخلق شيئا بهذه العظمة والعلو والارتفاع لا بد أن يكون عظيما في شأنه وقدرته وقوته، يقول الزمخشري: "وصف السموات بالعلىٰ: دلالة علىٰ عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها."(١) فهي دليل علىٰ عظم قدرة من اخترعها إذ لا يمكن وجود مثلها في علوها من غيره تعالىٰ.(٢) وهي الأشرف والأفضل بالإضافة إلىٰ هذا العالم، كما قال: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا﴾[سورة النازعات:٢٧].

وكما كشف وصف السماوات بالعلىٰ عن عظمة خالقها كشف كذلك عن فخامته سبحانه يقول ابن عجيبة:" ووصف السموات بالعُلىٰ، وهو جمع «عليا» لتأكيد الفخامة مع ما فيه من مراعاة الفواصل."(٣) وإنما كان هذا الوصف تأكيد للفخامة؛ لأنه قال أولا: أَنْزَلْنا ففخم بالإسناد إلىٰ ضمير الواحد المطاع المعظم نفسه. ثم ثنىٰ بالنسبة إلىٰ المختص بصفات العظمة والتمجيد التي لم يشركه فيها أحد فضوعفت الفخامة من طريقين وحصل التعظيم من الوجهين.(٤)

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ٣/ ٥١ ط٣: دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧ هـ. ، وينظر مفاتيح الغيب للرازي ٢٢/ ٨ ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ٤/ ٥١٦

(٢) البحر المحيط في التفسير ٧/ ٣١٢ ، وينظر روح المعاني ٨/ ٤٦٩

(٣) البحر المديد ٣/ ٣٧٣ ، وينظر روح المعاني ٨/ ٤٦٩، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ٦/ ٤

(٤) الكشاف للزمخشري ٣/ ٥١، وينظر مفاتيح الغيب للرازي ٢٢/ ٨، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٧/ ٣١٢.

يضاف إلىٰ ذلك أن هذا الوصف يحمل معنىٰ التحدي؛ إذ لا يقدر علىٰ خلقها في عظمتها وعلوها إلا الله تعالىٰ.[1]

كما تأتي دلالة هذا الوصف على عظم شأن القرآن من جهة أنه تنزيل من خلق السماوات علىٰ علوها وعظمها والرسالة أنما تعظم بعظمة من أرسلها، يقول النيسابوري: "وفي وصف السموات بها دلالة علىٰ عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها؛ ويحصل منه تعظيم شأن القرآن بالضرورة فعلىٰ قدر المرسل يكون حال الرسالة."[2]

والواقع يشهد بأن الرسالة تَعظُم بتعظيم حال المرسِل ليكون المرسَل إليه أقرب إلىٰ الامتثال.[3]

ويتأكد هذا الكشف الدلالي لهذه الصفة بعدة أمور:

١ـ التعبير بالاسم الموصول في: ﴿مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ﴾ فلم يقل من الله أو من الرحمن وإنما عدل عن ذلك إلىٰ استعمال الاسم الموصول(مَن)؛ لنكتة بلاغية هي تعظيم الخبر؛ إذ في التعبير بالموصول إيماء إلىٰ وجه بناء الخبر من خلال جملة الصلة، بمعنىٰ أن تأتي بالموصول والصلة للإشارة إلىٰ أن بناء الخبر عليه من أي وجه وأي طريق من الثواب والعقاب والمدح والذم وغير ذلك؛ فيكون هذا الإيماء ذريعة إلىٰ التعظيم أو التحقير، ومن تحقير الخبر بناء علىٰ هذا الإيماء من خلال التعبير بالموصول وصلته قوله

---

(١) لباب التأويل ٣/ ٢٠٠

(٢) غرائب القرآن للنيسابوري(ت٨٥٠هـ) تح: زكريا عميرات ٤/ ٥١٦ ط:١ دار الكتب العلميه – بيروت ١٤١٦هـ

(٣) ينظر مفاتيح الغيب للرازي(ت٦٠٦هـ) ٢٢/ ٨ ط٣: دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤٢٠هـ

تعالىٰ:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[سورة غافر:٦٠]، أي صاغرين؛ ففي مضمون الصلة وهو الاستكبار عن العبادة، تلميح إلىٰ أن الخبر المترتب عليه من جنس الإذلال والعقوبة.(١) ومن تعظيمه بالتعبير بالموصول وصلته قول الشاعر:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ(٢)

فالمراد بالبيت هنا :" الكعبة أو بيت المجد والشرف."(٣) والشاهدفيه جعل الإيماء إلىٰ وجه الخبر وسيلة إلىٰ التعريض بالتعظيم لشأنه؛ وذلك لقوله: إن الذي سمك السماء؛ ففيه إيماء إلىٰ أن الخبر المبني عليه أمر من جنس الرفعة والبناء بخلاف ما لو قيل إن الله أو الرحمن أو غير ذلك.(٤)؛ ومن هنا كان استعمال الاسم الموصول وصلته في الآية الكريمة ذريعة للتعظيم؛ لما تقرره جملة الصلة من وجوب إفراده تعالىٰ بالعبودية لأنه خالق السموات والأرض وهما أعظم خلقا من المخاطبين بالقرآن الذي ذكر الله تعالىٰ أنه تنزيل منه، يدل عليه:﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ

(١) ينظر الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) تح: محمد خفاجي٢/ ١٦ ط/ ٣، دار الجيل - بيروت، و معاهد التنصيص علىٰ شواهد التلخيص لأبي الفتح العباسي ١/ ١٠٤، وجواهر البلاغة للهاشمي ١١٤، وعلوم البلاغة للمراغي ١١٧، وبغية الإيضاح للصعيدي ١/ ٨١، والبلاغة العربية للدمشقي ١/ ٤٣٥

(٢) التحرير والتنوير(١٦/ ١٨٦).

(٣) البيت من الكامل، وهو للفرزدق في ديوانه بشرح إيليا الحاوي ٢/ ٣١٨ ط:١، دار الكتاب اللبناني ١٩٨٣م

(٤) معاهد التنصيص علىٰ شواهد التلخيص ١/ ١٠٤، وينظر المنهاج الواضح للبلاغة لحامد عوني ٤/ ١٠٨

﴿أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾[غافر:٥٧]. وفي هذا إيماء إلىٰ أن الخبر من جنس الرفعة والعلو فيتوافق مع ما كشفت عنه صفة العلو من معنىٰ عظمة الخالق سبحانه. ويؤكد هذا قول الطاهر بن عاشور: "والعدول عن اسم الجلالة أو عن ضميره إلىٰ الموصولية لما تؤذن به الصلة من تحتم إفراده بالعبادة، لأنه خالق المخاطبين بالقرآن وغيرهم مما هو أعظم منهم خلقا."[1].

٢ـ **أنه جاء على سنة من سنن العرب في كلامهم**، وذلك أن توظيف عظمة شأن من خلق السماء وجعلها عالية ورفعها من غير عمد في التدليل علىٰ عظمة شأن أفعاله الأخرىٰ أو عظمة شأن ما تعلق به سبحانه مسلك عربي قديم يلجأ إليه العرب عندما يريدون تعظيم شأن الشيء، كما فعل الفرزدق ـ في البيت السابق ـ عندما أراد أن يعظم شأن الكعبة، أو بيت مجدهم وعزهم؛ ففيه تعريض بتعظيم بناء بيته لكونه فعل من رفع السماء التي لا بناء أرفع منها ولا أعظم.[2] يقول حامد عوني:" الغرض الذي يهدف إليه الشاعر متوسلا بهذا الإيماء هو التعريض بتفخيم بيته من حيث إن بانيه هو ذلك الذي رفع السماء، وأي بناء أرفع وأعظم من سماء هي صنع يد ذلك المبدع القادر؟."[3] ولهذا استشهد الطاهر ابن عاشور بهذا البيت علىٰ

(١) التحرير والتنوير(١٦/ ١٨٦).

(٢) معاهد التنصيص علىٰ شواهد التلخيص ١/ ١٠٤ وينظر المنهاج الواضح للبلاغة لحامد عوني ٤/ ١٠٨

(٣) المنهاج الواضح للبلاغة: حامد عوني ٤/ ١٠٨ ط: المكتبة الأزهرية للتراث

أن تعظيم شأن القرآن الكريم مستمد من تعظيم شأن من خلق السماوات الذي كشفت صفة العلىٰ التي وصفت بها السماوات عن عظمته. (١).

٣- أن هذه الصفة لم تكن وحدها في ميدان الكشف عن عظمته سبحانه وعظمة القرآن الذي أنزله، وإنما صاحَب هذه الصفة في هذا السياق بعض من أفعاله وصفاته سبحانه التي تتآزر مع هذه الصفة في الكشف عن هذا المعنىٰ كخلق السموات والأرض، وملكه لما فيهما وما بينهما وما تحت الثرىٰ واستوائه سبحانه علىٰ العرش وعلمه السر وما هو أخفىٰ منه، وانفراده بالألوهية وما له من الأسماء الحسنىٰ؛ كل هذه الصفات والأفعال تآزرت مع صفة العلو في الكشف عن هذه العظمة بذكر بعض معالمها؛ مما كان له دوره في تربية المهابة والروعة في القلوب، يقول أبو السعود:"وكل ذلك إلىٰ قوله تعالىٰ: لَهُ الأسماء الحسنىٰ مَسوقٌ لتعظيم شأنِ المنزِّل عز وجل المستتبع لتعظيم شأنِ المنزَّل الداعي إلىٰ تربية المهابة وإدخالِ الروعةِ المؤديةِ إلىٰ استنزال المتمرّدين عن رتبة العتو والطغيان واستمالهم نحو الخشية المُفْضِية إلىٰ التذكرة والإيمان."(٢)؛ ومن هنا قرر العلماء أن:"ما بعد (تَنْزِيلًا) إلىٰ قوله: (لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنىٰ) تعظيم وتفخيم لشأن المنزَّل؛ لنسبته إلىٰ من هذه أفعاله وصفاته."(٣)

---

(١) فقال:"وأيضا لما كان ذلك شأن منزل القرآن لا جرم كان القرآن شيئا عظيما، كقول الفرزدق:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَىٰ لَنَا ... بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ (التحرير والتنوير(١٦/ ١٨٦).

(٢) إرشاد العقل السليم ٦/ ٤، وينظر البحر المديد لابن عجيبة ٣/ ٣٧٣ ، وروح المعاني للآلوسي ٨/ ٤٦٩

(٣) الكشاف ٣/ ٥١، وينظر أنوار التنزيل للبيضاوي ٤/ ٢٣ ، والبحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي ٧/ ٣١٢

٤ـ الالتفات من أسلوب التكلم إلى الغيبة، حيث بدأ بأسلوب التكلم﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ [سورة طه:٢] ثم رجع إلىٰ الغيبة ﴿تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى﴾.(١)

ولهذا الأسلوب فائدته هنا في أمرين: **أولهما: الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة**؛ إذا لا يبقىٰ علىٰ نظام واحد.(٢) **والثاني: أن فيه مضاعفة للفخامة والعظمة**، وذلك أنه بدأ بأسلوب التكلم: (أَنْزَلْنا). ثم ثنىٰ بأسلوب الغيبة: (تنزيلا ممن خلق....الحسنىٰ) فيكون قد فخم بالإسناد إلىٰ ضمير (نا) المعظم نفسه، ثم فخم مرة ثانية في أسلوب الغيبة بنسبة هذا التنزيل إلىٰ المختص بصفات العظمة والتمجيد التي لم يشركه فيها أحد؛ فكأنه بهذا الأسلوب قد بين فخامته وعظمته مرة بحسب ذاته في أسلوب التكلم(ما أنزلنا) ومرة أخرة بحسب أفعاله وصفاته في أسلوب الغيبة(تنزيلا ممن خلق....الحسنىٰ)، وكأنه أيضا أبهم هذه العظمة والفخامة في أسلوب التكلم ثم فسر بعض معالمها بذكر بعض أفعاله وصفاته في أسلوب الغيبة؛ وفي هذا زيادة تحقيق وتقرير لهذه العظمة وتلك الفخامة، يقول أبو السعود:"ونسبةُ التنزيلِ إلىٰ الموصول بطريق الالتفات إلىٰ الغَيبة بعد نسبته إلىٰ نون العظمة لبيان فخامتِه تعالىٰ بحسب الأفعال والصفات إثرَ بيانها بحسب الذات بطريق الإبهامِ ثم التفسيرِ لزيادة تحقيق وتقرير."(٣)؛ **ولا شك أن معنى الفخامة والعظمة النابع من أسلوب**

(١) ينظر الكشاف للزمخشري ٣/ ٥١، ومفاتيح الغيب للرازي ٢٢/ ٨ ، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٢/ ٥

(٢) الكشاف ٣/ ٥١، والبحر المحيط لأبي حيان ٧/ ٣١٢، وغرائب القرآن للنيسابوري ٤/ ٥١٦

(٣) إرشاد العقل السليم للعمادي(ت ٩٨٢هـ) ٦/ ٤ ط: إحياء التراث – بيروت ، والبحر المديد لابن عجيبة ٣/ ٣٧٣

الالتفات يؤكد معنىٰ العظمة الذي كشفت عنه صفة العلو التي وصفت بها السماوات.

٥ـ أن النسيج الصوتي للفظ السماء يتوافق مع هذا الوصف ويؤكد عليه؛ فهو مشتق أو مأخوذ من مادة(س م و) والمعنىٰ المحوري الذي تدور حوله جميع مشتقات هذه المادة بما فيها لفظ السماء هو العلو والارتفاع ، يقول ابن فارس:" السين والميم والواو أصل واحد يدل علىٰ العُلُوِّ. يقال: سَمَوْتُ، إذا عَلَوْتَ. وَسَمَا بَصَرُهُ: عَلَا. وَسَمَا لِي شَخْصٌ: ارتَفَع حتىٰ اسْتَبْتَّهُ...والعرب تُسَمِّي السحاب سَمَاءً...والسماءُ: سَقْفُ البيت. وكُلُّ عَالٍ مُطِلٍّ سَمَاءٌ."[1]؛ **وقد انبثقت ظلال هذا المعنى** علىٰ الاستعمال القرآني للفظ؛ فقد أعقبه بصفات من نوع الارتفاع فوصفت بالعلو:﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَىٰ﴾ ووصفت بالفوقية: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾[سورة الشورى:٥].[2] ووصفت بالرفعة:﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾[سورة الرحمن:٧]، والبناء:﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[الذاريات:٤٧]؛ والبناء يكون لأعلىٰ،؛ فكأن وصف السماوات بالعلو في هذه الآية يتأكد بمعنىٰ العلو الذي ينبثق من النسيج الصوتي للفظ؛ فتكون السماوات كأنها وصفت بالعلو مرتين: مرة بتركيبها الصوتي، وأخرىٰ بالوصف الصريح به؛ وفي هذا تأكيد لوصف العلو الذي يكشف عن عظمة خالقها سبحانه علىٰ هذه الهيئة من العلو والارتفاع.

❁❁❁❁❁

(١) مقاييس اللغة(س م و) ٣/ ٩٨

(٢) ينظر التفسير الحديث: دروزة محمد عزت ١/ ٤٢٤ ط: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ١٣٨٣ هـ

الموضع الثالث: ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾ [سورة الطور: ٦].

في هذه الآية الكريمة وقعت كلمة: (المسجور) صفة للبحر، والمسجور: المملوء، وبهذا المعنىٰ جاء في قول النَّمِر بن تَوْلَبٍ -وذكر وَعِلا:

إذا شـــاء طـــالَعَ مَسْـــجُورَةً تَرَىٰ حَوْلَهَا النَّبْعَ والسَّاسَمَا [1]

أي عينًا مملوءةً.[2] وبهذا فسره ابن قتيبة فقال:" ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾:المملوء."[3]

وهذه الصفة لا يراد منها التقييد، بمعنىٰ أنها للاحتراز بها عن غير المسجور ـ إن وجد ـ فيكون المراد أن البحر المسجور هو الذي يستحق أن يُقسم به أما غيره فلا، **وإنما هي صفة كاشفة الغرض منها الكشف الدلالي عن بعض الأمور، وهي كالآتي:**

١ـ الكشف عن أصل خلقته أو الحالة التي خلقه الله عليها؛ فقد دلّ بقوله المسجور علىٰ أن الله تعالىٰ خلقه مملوءً بالماء؛ فلم يخلق فارغا ثم طرأ عليه الملء من إمداد الأودية والسيول مثلا وإنما خلق في الأصل مملوءً،

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد(ت ٣٢١هـ) تح: رمزي بعلبكي(ج ر س ـ سجر) ١/ ٤٥٧ ط١: دار العلم، بيروت: ١٩٨٧م ، والبيت من بحر المتقارب، وهو للنمر بن تولب العُكلي، في ديوانه بتحقيق وشرح د. محمد نبيل ص١١٨ ط١:دار صادر ـ بيروت ٢٠٠٠م، والوعل: تيس الجبل(المحكم(و ع ل) ٢/ ٣٦٢) والنبع: شجر تتخذ منه القسيّ(الصحاح(ن ب ع)٣/ ١٢٨٨) والساسم: شجر تتخذ منه السهام(المحكم لابن سيده(س س م) ٨/ ٤٣٠)

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة(ت ٢٧٦هـ) تح: أحمد صقر ١/ ٤٢٣ ، ط: دار الكتب العلمية: ١٩٧٨ م

(٣) غريب القرآن ١/ ٤٢٣

يقول الطاهر بن عاشور:" والمسجور: قيل المملوء، مشتق من السجر، وهو الملء والإمداد. فهو صفة كاشفة قصد منها التذكير بحال خلق الله إياه مملوء ماء دون أن تملأه أودية أو سيول."(١)

ويؤكد هذا الكشف الدلالي عدة أمور:

(أ)ـ **قول النحاس:**"والبحر المسجور بحر هذه صفته، وليس هذا مثل:﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ﴾[التكوير:٦]."(٢) فهذا القول يعنىٰ أن هذا البحر خُلق علىٰ هذه الصفة التي تميزه عن غيره من البحور التي سُجِّرَت أي: مُلئت بعد خلقها بفعل إمداد الأودية والسيول وغير ذلك؛ فهذه طرأ عليها السجر، أما البحر المسجور فقد خلق مملوءً فهو مخلوق علىٰ هذه الصفة.

(ب)ـ **أن اللهجات العربية تصدق على هذا المعنى**؛ فقد حفظت اللهجات العربية مظهرين من مظاهر الأداء اللغوي في هذا المعنىٰ وهما: البحر المسجور ـ بالتخفيف. والبحر المُسَجَّر أو البحار التي سُجِّرَت ـ بالتشديد، وجعلت الأول للذي لم يُجمع ماؤه من مصادر أخرىٰ حتىٰ امتلأ وإنما خُلق مملوءً، وجعلت الثاني(المشدد) لما جُمع إليه الماء بعد خلقه فارغا؛ فامتلأ، وإلىٰ هذا ينبه قول ابن عباس:"﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾يعني

(١) التحرير والتنوير٢٧/ ٣٩

(٢) إعراب القرآن للنَّحَّاس (ت ٣٣٨هـ) تح: عبد المنعم خليل ٥/ ٩٩ ط:١ دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١ هـ

الممتليء بلغة عامر بن صعصعة. ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ﴾ يعني جمعت بلغة خثعم."[1]

(ج) ـ أن القراءات القرآنية تصدق هي الأخرى على هذا الكشف الدلالي من جهة وعلىٰ ما حفظته اللهجات العربية من جهة أخرىٰ؛ وذلك أن قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ﴾ يُقرأ بالتخفيف(سُجِرَت) وبالتثقيل(سُجِّرَت).[2] وحجة من قرأ بالتخفيف(سُجِرَت) أنه أراد به أنها ملئت مرة واحدة؛ فلم يجُمع ماؤها بعضه إلىٰ بعض فيكون بحرا واحدا مُسَجَّرا وليس مسجورا؛ لأن المسجور هو الذي مُليء مرة واحدة وليس من خلال جمع الماء له؛ ولهذا كان موضع الطور:﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾وليس المُسَجَّر؛ لأنه أراد: الذي مُليء مرة واحدة؛ ولما أراد هذا المعنىٰ في موضع التكوير قريء(سُجِرَت) بالتخفيف لأنه أراد أنها مسْجُورة وليست مسَجَّرة. وحجة من قرأ بالتشديد (سُجِّرَت) أنه أراد أنها تُفتح فيفضىٰ بعضها إلىٰ بعض فتصير بحرا واحدا؛ فيكون مُسَجَّرا وليس مسجورا؛ ومن هنا قريء (سُجِّرَت) لأنه أراد أنها مسَجَّرة وليست مسْجُورة. [3]، يقول ابن خالويه: "﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ﴾ يقْرَأ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيد فالحجة لمن حفف أنه

(١) اللغات في القرآن رواية أبي أحمد عبد الله بن الحسين بن حسنون السامري (ت٣٨٦هـ) بإسناده إلىٰ ابن عباس، حققه ونشره: صلاح الدين المنجد، ٤٦ط١: م مطبعة الرسالة، القاهرة: ١٩٤٦م، والتبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم (ت٨١٥هـ)، تح: ضاحي عبد الباقي ٣٠٢ ط ١: دار الغرب الإسلامي، بيروت: ١٤٢٣ هـ.

(٢) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٩٩، والحجة في القراءات السبع لابن خالويه(ت٣٧٠هـ) تح: عبد العال سالم ٣٦٣ ط٤: دار الشروق : ١٤٠١هـ، وحجة القراءات لابن زنجلة (ت٤٠٣هـ)، تح: سعيد الأفغاني ٧٥٠ ، ط: دار الرسالة.

(٣) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٩٩

اراد بِهِ ملئت مرّة وَاحِدَة وَدَلِيله قَوْله: وَالْبَحْر الْمَسْجُور وَالْحجّة لمن شدد أنه أراد أنها تفتح فيفضي بَعْضهَا الىٰ بعض فَتَصِير بحرا وَاحِدًا."[1]

وأرجع البعض التشديد والتخفيف إلى الإفراد والجمع؛ فالبحر المسجور واحد؛ ولهذا استعمل معه التخفيف، أما في موضع التكوير فالبحار جمع؛ ولهذا استعمل معه التشديد.[2]

إلا أن الباحث لا يوافق هذا الرأي؛ لأنه يُرَد عليه بأن التخفيف كما استعمل في الإفراد استعمل أيضا مع الجمع؛ فدل هذا علىٰ أنه يستعمل في القليل والكثير، ومن ذلك:﴿قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ﴾[الذاريات:١٠]، و﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾[البروج:٤]، وهم جماعة.[3]؛ **ويوكد هذا أن**: ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ﴾ يُقرأ بالتخفيف وبالتثقيل مع أن البحار جمع في القراءتين؛ مما يدل علىٰ أن مسألة الإفراد والجمع لا علاقة لها بالتخفيف والتثقيل هنا، وإنما هي لغرض آخر.

٢ـ الكشف عن أهم مظهر من مظاهر العظمة في خلق هذا البحر، وهو دوام ملئه؛ فهذه الصفة ملازمة له إذ هو مسجور، أي مملوء أبدا منذ أن خلقه الله وإلىٰ اليوم؛ فلا ينقص ماؤه أو يفرغ في وقت من الأوقات فيكون كالوادي الذي ينقص ماؤه فلا يبقىٰ علىٰ ملئه، يقول الطاهر بن عاشور:"أو هي للاحتراز عن إرادة الوادي إذ الوادي ينقص فلا يبقىٰ علىٰ ملئه وذلك دال علىٰ عظم القدرة."[4]

---

(١) الحجة في القراءات السبع ٣٦٣، وينظر حجة القراءات لابن زنجلة ٧٥٠

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٩٩

(٣) حجة القراءات لابن زنجلة ٧٥٠

(٤) التحرير والتنوير٢٧/ ٣٩

ويؤكد هذا الكشف الدلالي قول الطبري بعد أن ذكر أنه المملوء وأنه الموقد وأنه المحبوس:" وأولىٰ الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه: والبحر المملوء المجموع ماؤه بعضه في بعض، وذلك أن الأغلب من معاني السجر: الإيقاد، كما يقال: سجرت التنور، بمعنىٰ: أوقدت، أو الامتلاء...فإذا كان ذلك الأغلب من معاني السجر، وكان البحر غير موقد اليوم، وكان الله تعالىٰ ذكره قد وصفه بأنه مسجور، فبطل عنه إحدىٰ الصفتين، وهو الإيقاد وصحت الصفة الأخرىٰ التي هي له اليوم، وهو الامتلاء، لأنه كل وقت ممتلئ."[1]

٣ـ الكشف عن الحالة التي كان بها هلاك فرعون وجنوده؛ وذلك أن من العلماء من يرىٰ أن المقصود من البحر هنا البحر الذي أهلك الله فيه فرعون وملئه، يقول الطاهر بن عاشور:"وعندي: أن المراد بحر القلزم، وهو البحر الأحمر ومناسبة القسم به أنه به أهلك فرعون وقومه حين دخله موسىٰ وبنو إسرائيل فلحق بهم فرعون."[2] وعلىٰ هذا يكون وصفه بالمسجور للكشف عن الحالة أو الكيفية التي أهلك الله تعالىٰ بها فرعون وملئه في هذا البحر فبعد أن فلقه لموسىٰ ومن معه فتجاوزوه ناجين أسجره علىٰ فرعون وملئه فهلكوا بذلك فكان تسجير البحر عليهم هو الحالة التي كان بها هلاكهم، وفي هذا يقول ابن عاشور:"والظاهر عندي: أن وصفه بالمسجور للإيماء إلىٰ الحالة التي كان بها هلاك فرعون بعد أن فرق الله البحر لموسىٰ وبني إسرائيل ثم أسجره، أي أفاضه علىٰ فرعون وملئه."[3]

❁❁❁❁❁

(١) جامع البيان ٢٢/ ٤٥٩

(٢) التحرير والتنوير٢٧/ ٣٩

(٣) التحرير والتنوير٢٧/ ٣٩

الموضع الرابع: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٠].

في هذه الآية الكريمة وقعت كلمة: الثالثة الأخرىٰ صفتان أو نعتان لمناة.(١)

وهاتان الصفتان كاشفتان لهما أثرهما في الكشف الدلالي عن المعاني الآتية:

١- الكشف عن ترتيبها في الذكر ، يعني أنها: "الثالثة للصنمين في الذكر."(٢) والتأكيد علىٰ هذا الذكر من خلال وصف الأخرىٰ؛ لأن اللات والعزىٰ كانا أشهر من مناة عند العرب؛ لبُعد مكان مناة عن بلاد العرب. يقول ابن عاشور: "ووصفها بالثالثة لأنها ثالثة في الذكر وهو صفة كاشفة، ووصفها بالأخرىٰ أيضا صفة كاشفة لأن كونها ثالثة في الذكر غير المذكورتين قبلها معلوم للسامع، فالحاصل من الصفتين تأكيد ذكرها لأن اللات والعزىٰ عند قريش وعند جمهور العرب أشهر من مناة لبعد مكان مناة عن بلادهم."(٣)

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٨٣، وزاد المسير لابن الجوزي ٤/ ١٨٨، والمجتبىٰ من مشكل إعراب القرآن: د. أحمد الخراط ٤/ ١٢٥٠ ط: مجمع الملك فهد - المدينة المنورة: ١٤٢٦ هـ

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي(ت ٤٦٨هـ) تح:عادل عبد الموجود ٤/ ١٩٩ط١: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ = ١٩٩٤ م ، وينظر معالم التنزيل للبغوي٤/ ٣٠٩، وأنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل للرازي(ت ٦٦٦هـ) تح: عبد الرحمن المطرودي ٤٩٤ط١: دار عالم الكتب - السعودية: ١٩٩١م

(٣) التحرير والتنوير ٢٧/ ١٠٥.

٢ـ الكشف عن ترتيب المواقع الجغرافية لبيوت هذه الأصنام، يقول الطاهر بن عاشور:"ولأن ترتيب مواقع بيوت هذه الأصنام كذلك، فاللات في أعلىٰ تهامة بالطائف، والعزىٰ في وسطها بنخلة بين مكة والطائف، ومناة بالمشلل بين مكة، والمدينة فهي ثالثة البقاع."(١) .

٣ـ الكشف عن الترتيب التاريخي لاتخاذ هذه الأصنام الثلاثة معبودة من دون الله؛ إذ يشير هذا الوصف إلىٰ أن اللات عُبدت أولا ثم كانت العزي؛ فكان لهما التقدم والأولية ثم جاءت مناة متأخرة عنهما في اتخاذها معبودة من دون الله مثلهما، **يؤكد على هذا** قول السمرقندي: "أول الأصنام كانت اللات، ثم العزَّىٰ ثم مناة. وهو قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾[النجم:١٩، ٢٠] يعني: أفرأيتم عبادتها تنفعهم في الآخرة."(٢) وهو احتمال أخذ به الزمخشري في التوجيه لهذين الوصفين نَصُّه:"ويجوز أن تكون الأوّلية والتقدّم عندهم للات والعزىٰ."(٣)

٤ـ الكشف عن ترتيبها في التعظيم، أو في الرتبة والمنزلة عندهم، فقد كانت مناة بعد اللات والعزىٰ في هذا الأمر، يقول الماوردي:" وإنما قال: مناة الثالثة الأخرىٰ؛ لأنها كانت مرتبة عند المشركين في التعظيم بعد اللات والعزىٰ."(٤)؛ فدل هذا الوصف علىٰ أن مناة كانت بعد اللات والعزي في التعظيم وأقل رتبة منهما ودونهما في المنزلة.(٥)

---

(١) التحرير والتنوير ٢٧/ ١٠٥.

(٢) بحر العلوم ٣/ ٣٦١

(٣) الكشاف ٤/ ٤٢٣، وينظر البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي ١٠/ ١٧

(٤) النكت والعيون ٥/ ٣٩٨، وينظر تفسير القرآن للسمعاني ٥/ ٢٩٤، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/ ١٠٢

(٥) ينظر أنوار التنزيل للبيضاوي ٥/ ١٥٩، وإعراب القرآن وبيانه لدرويش ٩/ ٣٥٥

ويؤكد هذا الكشف الدلالي أن فريقا من العلماء يرىٰ أن صفة الأخرىٰ صفة ذم لمناة؛ لتأخرها في الرتبة، فمعنىٰ ومناة الثالثة الأخرىٰ: أي: مناة المتأخرة الوضيعة، يقول الزمخشري:"والأخرىٰ ذمّ، وهي المتأخرة الوضيعة المقدار، كقوله تعالىٰ قالَتْ أُخْراهُمْ لِأُولاهُمْ أي وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم."(١) فوصف الأخرىٰ يستعمل للذم، كما في قوله تعالىٰ: قالت أولاهم لأخراهم [الأعراف: ٣٩] أي: "لمتأخرتهم وهم الأتباع ويقال لهم الأذناب؛ لتأخرهم في المراتب فهي صفة ذم كأنه تعالىٰ يقول ومناة الثالثة المتأخرة الذليلة."(٢)

ـ وقد استدرك أبو حيان على الزمخشري في قوله بأن الأخرىٰ تستعمل للذم فقال:"ولفظ آخر ومؤنثه أخرىٰ لم يوضعا للذم ولا للمدح، إنما يدلان علىٰ معنىٰ غير، إلا أن من شرطهما أن يكونا من جنس ما قبلهما. لو قلت: مررت برجل وآخر، لم يدل إلا علىٰ معنىٰ غير، لا علىٰ ذم ولا علىٰ مدح."(٣)

ـ والباحث لا يوافق أبا حيان فيما ذكره ويرجح قول الزمخشري؛ لعدة أمور:

الأول: أنها مع مفهومها الأصلي تدل علىٰ المشاركة في معنىٰ ثم التفضيل في هذا المعنىٰ، فهي هنا تدل علىٰ مشاركة الثلاثة في معنىٰ الوضاعة

---

(١) الكشاف ٤/ ٤٢٣، وينظر مدارك التنزيل للنسفي ٣/ ٣٩٢ ، والدر المصون للسمين الحلبي١٠/ ٩٤، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل ١٨/ ١٨١، و فتح القدير للشوكاني ٥/ ١٣١، و روح المعاني للآلوسي ١٤/ ٥٥

(٢) مفاتيح الغيب ٢٨/ ٢٤٧، وينظر البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي ١٠/ ١٧

(٣) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ١٠/ ١٧، وينظر الدر المصون للسمين الحلبي١٠/ ٩٤، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل ١٨/ ١٨١، وروح المعاني للآلوسي ١٤/ ٥٥

ـ قضاء لحق المشاركة ـ ثم تزيد مناة في هذا المعنىٰ عن سابقتيها اللات والعزىٰ قضاء لحق التفضيل، وهو ما نبه إليه الألوسي فقال:"والحق أن ذلك باعتبار المفهوم الأصلي وهي تدل علىٰ ذم السابقتين أيضا قال في الكشف: هي اسم ذم يدل علىٰ وضاعة السابقتين بوجه أيضا لأن «أخرىٰ» تأنيث آخر تستدعي المشاركة مع السابق فإذا أتىٰ بها لقصد التأخر في الرتبة عملا بمفهومها الأصلي إذ لا يمكن العمل بالمفهوم العرفي لأن السابقتين ليستا ثالثة أيضا استدعت المشاركة قضاء لحق التفضيل، وكأنه قيل: الْأُخْرىٰ في التأخر."[1] ولو أراد المشاركة فقط لقال: الأخريات.[2]

الثاني: أن دلالتها على معنى الغيرية ـ الذي ادُّعي أنه أصل ـ ليس أصلا حقيقيا وإنما هو تطور عن أصل متروك وهو الدلالة علىٰ التأخر الوجودي إلا أن العرب سلبته هذا المعنىٰ وعدلت به عنه إلىٰ معنىٰ الغيرية فاستعملته حيث يتقدم ذكر مغاير لا غير؛ ومن هنا يأتي الفرق بين آخَر وأُخْرىٰ اللذين بوزن (أفعل وفُعلىٰ) وآخِر آخِرة اللذين بوزن فاعل وفاعلة مع أن اشتقاقهما من مادة واحدة، ولهذا الفرق قالت العرب ربيع الآخِر وجمادىٰ الأخِرة بوزن فاعل وفاعلة ولم يقولوا: ربيع الآخَر وجمادىٰ الأخرىٰ بوزن أفعل وفعلىٰ؛ لأنهم أرادوا التأخر الوجودي الذي هو الأصل الدلالي للمادة والذي لم يسلب مما هو بوزن فاعل وفاعلة كما سلب مما هو بوزن أفعل وفعلىٰ، وفي هذا يقول درويش ـ وهو يعلق علىٰ ما ذكره الزمخشري:"وهذه النكتة تنساق بنا إلىٰ بحث طريف عن الأخرىٰ فهي

(١) روح المعاني ١٤/ ٥٥

(٢) إعراب القرآن وبيانه ٩/ ٣٥٥

تأنيث آخر ولا شك أنه في الأصل من التأخر الوجودي إلا أن العرب عدلت به عن الاستعمال في التأخير الوجودي إلىٰ الاستعمال حيث يتقدم ذكر مغاير لا غير حتىٰ سلبته دلالته علىٰ المعنىٰ الأصلي بخلاف آخر وآخره علىٰ وزن فاعل وفاعلة فإنّ إشعارهما بالتأخير الوجودي ثابت لم يغيّر ومن ثم عدلوا عن أن يقولوا ربيع الآخر علىٰ وزن الأفعل وجمادىٰ الأخرىٰ إلىٰ الآخر علىٰ وزن فاعل وجمادىٰ الآخرة علىٰ وزن فاعلة لأنهم أرادوا أن يفهموا التأخير الوجودي لأن الأفعل والفعلىٰ من هذا الاشتقاق مسلوب الدلالة علىٰ غرضهم فعدلوا عنها إلىٰ الآخر والآخرة والتزموا ذلك فيهما."[1]

الثالث: أن لهذا التأخر وتلك الوضاعة أسباب تدعو إلى القول بها وهي: أن الأوّلية والتقدّم عندهم كان للات والعزىٰ.[2] يضاف إلىٰ ذلك الصورة التي كانت عليها هذه الأوثان الثلاثة؛ إذ كانت اللات علىٰ صورة آدمي والعزىٰ علىٰ صورة نبات ومناة علىٰ صورة صخرة هي جماد، والآدمي أشرف من النبات، والنبات أشرف من الجماد، فالجماد متأخر رتبة عن النبات والآدمي؛ ومن هنا كانت مناة في الأخريات من المراتب؛ لكون صورتها علىٰ صورة الجماد.[3] كما أن الكفرة كانوا يزعمون أنها أعظم الثلاثة فأكذبهم الله تعالىٰ بذلك.[4]

---

(١) إعراب القرآن وبيانه ٩/ ٣٥٥

(٢) ينظر الكشاف للزمخشري ٤/ ٤٢٣، ومدارك التنزيل للنسفي ٣/ ٣٩٢

(٣) ينظر مفاتيح الغيب للرازي ٢٨/ ٢٤٧، والبحر المحيط لأبي حيان ١٠/ ١٧، و روح المعاني للآلوسي ١٤/ ٥٥

(٤) روح المعاني ١٤/ ٥٥

٥ـ الكشف عن عظمتها عندهم ـ عند من ذهب إلى ذلك كابن عطية؛ إذ يقول:"وأما مَناةَ فكانت بالمشلل من قديد، وذلك بين مكة والمدينة، وكانت أعظم هذه الأوثان قدرا وأكثرها عابدا، وكانت الأوس والخزرج تهل لها، ولذلك قال تعالىٰ: الثَّالِثَةَ الْأُخْرىٰ فأكدها بهاتين الصفتين، كما تقول رأيت فلانا وفلانا ثم تذكر ثالثا أجَلَّ منهما، فتقول وفلانا الآخر الذي من أمره وشأنه."[1] وابن عجيبة؛ حيث قال:"وصفها بالوصفين لأنهم كانوا يُعظِّمونها أكثر من اللات والعزىٰ."[2] وإليه ذهب الشوكاني.[3]

٤ـ الكشف عن بطلان ألوهيتها وعدم أفضليتها عن بقية الأصنام لكثرة عُبَّادها؛ فكثرة عُبَّاد مناة في قبائل العرب جعلهم يظنون أنها ليست كاللات والعزىٰ في بطلان ألوهيتها؛ فنبه بقوله(الثالثة الأخرىٰ)علىٰ أن كثرة عبدتها لا يزيدها قوة علىٰ بقية الأصنام في هذا الحكم، يقول بن عاشور:" والأحسن أن قوله: الثالثة الأخرىٰ جرىٰ علىٰ أسلوب العرب إذا أخبروا عن متعدد وكان فيه من يظن أنه غير داخل في الخبر لعظمة أو تباعد عن التلبس بمثل ما تلبس به نظراؤه أن يختموا الخبر فيقولوا: «وفلان هو الآخر» ووجهه هنا أن عباد مناة كثيرون في قبائل العرب فنبه علىٰ أن كثرة عبدتها لا يزيدها قوة علىٰ بقية الأصنام في مقام إبطال إلهيتها وكل ذلك جار مجرىٰ

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠١، وينظر البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ١٠/ ١٧

(٢) البحر المديد لابن عجيبة (ت ١٢٢٤هـ) تح: أحمد القرشي ٥/ ٥٠٥ ط: د.حسن زكي القاهرة: ١٤١٩ هـ

(٣) ينظر فتح القدير للشوكاني(ت١٢٥٠هـ) ٥/ ١٣١ ط١: دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت: ١٤١٤هـ

التهكم والتسفيه."[١]؛ فكأن التقدير: أفرأيتم اللات والعزىٰ المعبودين بالباطل ومناة الثالثة المعبودة الأخرىٰ.[٢]

٦- **الكشف عن كثرة معبوداتهم واختلافها وتغايرها**، وذلك أن قوله:(الثالثة) يدل علىٰ أن منهم من اتخذ إلهين ومن اتخذ ثلاثة، وقوله الأخرىٰ يدل علىٰ اختلاف هذه الآلهة وتغايرها بوجه من الوجوه، يقول ابن البناء:"ووصفها بوصفين:

أحدهما: يدل علىٰ تكثيرهم الإله فمن مُثَن، ومن مثلث وغير ذلك.

والثاني: يدل علىٰ الاختلاف والتغاير: فمن معطل، ومن مشبه، ومن مجسم، ومن مولد تعالىٰ الله عن ذلك علوا كبيرا."[٣]؛ فكأنه أراد بهذين الوصفين الدلالة علىٰ أن الأصنام كان فيها كثرة واللات والعزىٰ إذا أخذتا متقدمتين فكل صنمة توجد فهي ثالثة؛ فكأنه يقول لهما ثوالث كثيرة وهذه ثالثة أخرىٰ.[٤]

❁❁❁❁❁

(١) التحرير والتنوير(٢٧/ ١٠٥

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ٢٨/ ٢٤٧

(٣) عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل لابن البناء المراكشي(ت ٧٢١هـ) تح: هند شلبي ص٨١ ط/ ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان: ١٩٩٠ م

(٤) مفاتيح الغيب للرازي ٢٨/ ٢٤٧

الموضع الخامس: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤].

في هذه الآية الكريمة وقعت كلمة:(الأعلىٰ) صفة لـ:(ربكم).[1] ومعلوم أنه لم يرد هنا التقييد بحيث يخرج بهذه الصفة أو هذا القيد ما عداه مما لا يتحقق فيه هذا الوصف؛ إذا ليس المراد الاحتراز من رب آخر ليس هو الأعلىٰ، **وإنما المراد من هذا الوصف الكشف الدلالي عن بعض الأمور، وهي من خلال ما جاء عن العلماء:**

١- الكشف الدلالي عن معتقد فرعون ومعتقد قومه فيه في ذلك العصر؛ إذ كانوا يعتقدون ألوهية ملك مصر أو أنه رب الأرباب المتعددة، يقول ابن عاشور:" والقول الذي نادىٰ به هو تذكير قومه بمعتقدهم فيه فإنهم كانوا يعتبرون ملك مصر إلها لأن الكهنة يخبرونهم بأنه ابن (آمون رع) الذي يجعلونه إلها... فوصف نفسه بالرب الأعلىٰ لأنه ابن (آمون رع) وهو الرب الأعلىٰ، فابنه هو القائم بوصفه، أو لأنه كان في عصر اعتقاده: أن فرعون رب الأرباب المتعددة عندهم فصفة الأعلىٰ صفة كاشفة."[2]؛ فيكون المعنىٰ بناء علىٰ هذا الوصف: لا ربّ فوقي.[3] أو أن الأصنام أرباب وأنا ربّها وربكم.[4]

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/ ٨٠ ، وينظر إعراب القرآن للدعاس ٣/ ٤١٨، والجدول في إعراب القرآن الكريم لصافي ٣٠/ ٢٣٣، والمجتنىٰ من مشكل إعراب القرآن للخراط ٤/ ١٤١٤

(٢) التحرير والتنوير ٣٠/ ٨٠

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٤/ ٤٢٠، ومعالم التنزيل للبغوي ٥/ ٢٠٧ ، وزاد المسير لابن الجوزي ٤/ ٣٩٦، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩/ ٢٠٢

(٤) الكشف والبيان للثعلبي ١٠/ ١٢٧، ومعالم التنزيل للبغوي ٥/ ٢٠٧ ، وزاد المسير لابن الجوزي

ـ وقد أعلن القرآن الكريم معتقدهم هذا على لسان فرعون عندما قال:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص:٣٨]، وعندما قال لموسى وأخيه عليهما السلام علىٰ سبيل الإنكار:﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الشعراء:٢٣]؛ لأنهما قالا له:﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:١٦].فكأنه يقول لهما ومن رب العالمين هذا الذي تزعمان أنه أرسلكما وابعثكما.(١)

ويؤكد على هذا الكشف الدلالي أمران: أولهما: الرصد التاريخي لوجود هذه الحالة العقدية لأهل مصر في ذلك الوقت، يقول أبو حيان:" إنما قال ذلك؛ لأنَّ ملك مصر في زمانه كان إسماعيليًّا، وهو مذهب يعتقدون فيه إلهية ملوكهم."(٢) والآخر: الاقتران السياقي بقوله تعالىٰ: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾[النازعات:٢٥] فقد فسر بعض العلماء الأخرة والأولىٰ بكلمتيه هاتين اللتين صرح فيهما بألوهيته التي يدعيها ويعتقدها في نفسه ويعتقدها قومه فيه؛ ولهذا جاء العقاب عقب كلمته الثانية(أنا ربكم الأعلىٰ) التي تدل علىٰ إصراره علىٰ هذا المعتقد، يشير إلىٰ هذا قول الثعلبي: "نكال كلمته الأولىٰ وهي قوله سبحانه ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِي وكلمته الآخرة هي قوله أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلىٰ وكان بينهما أربعون سنة."(٣)

٢ـ الكشف الدلالي عن الحالة العقلية والنفسية التي أصابت فرعون عقب ظهور عجزه بعد أن أراه موسى الآية الكبرى، يقول

(١) ينظر البداية والنهاية لابن كثير ١/ ٢٨٩

(٢) البحر المحيط لأبي حيان ١٠/ ٣٩٩، وينظر البحر المديد لابن عجيبة ٧/ ٢٣٠

(٣) الكشف والبيان ١٠/ ١٢٧

الرازي: "كان الأليق به بعد ظهور خزيه عند انقلاب العصا حية، أن لا يقول هذا القول؛ لأن عند ظهور الذلة والعجز، كيف يليق أن يقول: أنا ربكم الأعلىٰ؛ فدلت هذه الآية علىٰ أنه في ذلك الوقت صار كالمعتوه الذي لا يدري ما يقول."(١)

٣- الكشف الدلالي عن بلوغ الغاية والنهاية في عادة من عادات ملوك مصر وأتباعهم في ذلك الوقت وهي(المَخْرَقَة) وتعني: التمويه.(٢) أو: الكذب.(٣) أو :"إظْهارُ الخُرْقِ توصُّلاً الىٰ حِيلَةٍ."(٤) وقد كان من عادات ملوك مصر في ذلك الوقت اعتمادهم علىٰ التمويه والكذب والحيلة لتوطيد وتثبيت ملكهم فيَدَّعون أشياء ليست لهم، وهذا الوصف كشف عن بلوغهم الغاية والنهاية في هذا الأمر بادعاء الألوهية، ويُعتمد في هذا علىٰ قول ابن عطية:"وقوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ نِهَايَةٌ فِي الْمَخْرَقَةِ، وَنَحْوُهَا بَاقٍ فِي مُلُوكِ مِصْرَ وَأَتْبَاعِهِمْ."(٥)

ويؤكد على هذا الكشف الدلالي أمران:

أولهما: أن القرآن الكريم قد حفظ لفرعون هذا استعانته بتلك المخرقة في موضع آخر هو:﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ

(١) مفاتيح الغيب ٣١/ ٤١ وينظر اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ٢٠/ ١٤٠

(٢) يقول الأزهري: "والمُمَخْرِقُ: المُمَوِّه، وَهِي الْمَخْرقَةُ." التهذيب(خ ر ق) ٧/ ٢٥٨، واللسان(مخرق) ١٠/ ٣٣٩

(٣) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم(باب الخاء والراء وما بعدهما) ٣/ ١٧٥٥

(٤) تاج العروس(م خ ر ق) ٢٦/ ٣٨٠

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٣، وينظر البحر المحيط لأبي حيان ١٠/ ٣٩٩، والبحر المديد لابن عجيبة ٧/ ٢٣٠

﴿أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر:٢٦]؛

فقد أخبر القرآن الكريم أنه قد ارتكب تلك المخرقة وهي الكذب والتمويه والحيلة من أجل قتل موسىٰ؛ فمَوَّه عليهم أنهم هم الذين يمنعونه أو يَكُفُّونه عن قتله بقوله:﴿ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾والحقيقة علىٰ خلاف ذلك فالذي يكفُّه عن قتله هو ما في نفسه من الهول والفزع بعد أن رأي الآية الكبرىٰ، يقول الزمخشري:"وكان قوله ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسىٰ تمويها علىٰ قومه، وإيهاما أنهم هم الذين يكفُّونه، وما كان يكفُّه إلا ما في نفسه من هول الفزع."(١)، **ثم ادعى كذبا** أنه لا يبالىٰ برب موسىٰ بقوله:﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ **كما احتال عليهم** ليقنعهم بصحة ما يريد من قتل موسىٰ فظهر لهم في ثوب الناصح الأمين الذي يخاف عليهم فساد الدين بتبديل دينهم وفساد الدنيا بالهرج الذي يقع بسبب دعوة موسىٰ فيذهب الأمن وتتعطل سبل الكسب ويهلك الناس جوعا وقتلا من أثر هذا الفساد ، **ويعتمد في هذا على قول ابن عطية**: "وأما فرعون فإنما لجأ إلىٰ المخرقة والاضطراب والتعاطي، ومن ذلك قوله: :﴿ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾، أي: إني لا أبالي عن رب موسىٰ، ثم رجع إلىٰ قومه يريهم النصيحة والحماية لهم فقال: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾."(٢) وزاد أبو حيان: "وذلك بِالتَّهَارُجِ الذي يذهب معه الأمن،

(١) الكشاف ٤/ ١٦١ ، وينظر مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ٣/ ٢٠٧

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٥٥

وتتعطل المزارع والمكاسب، ويهلك الناس قتلا وضياعا، فأخاف فساد دينكم ودنياكم معا."[1]

والثاني: استعانة هؤلاء الملوك بالكهنة في إقناع الناس بهذا الكذب والتمويه، يقول ابن عاشور:"فإنهم كانوا يعتبرون ملك مصر إلها لأن الكهنة يخبرونهم بأنه ابن (آمون رع) الذي يجعلونه إلها... فوصف نفسه بالرب الأعلىٰ لأنه ابن (آمون رع) وهو الرب الأعلىٰ، فابنه هو القائم بوصفه."[2]؛ وذلك لأن كلمة الكهنة لها أثرها في نفوس الناس خاصة في مخرقة ادعاء الألوهية التي كانت من أمور العقيدة التي يقوم عليها الكهنة في ذلك الوقت.

٤- الكشف الدلالي عن مذهب فرعون نفسه أو عن عقيدته في مسألة وجود الإله الخالق للكون؛ وذلك لأن العاقل لا يمكن أن يعتقد في نفسه أنه الخالق للكون وإلا كان مجنونا؛ فلما قال فرعون - وهو عاقل بدليل أن الله بعث إليه موسىٰ وأخيه هارون؛ إذ لو كان مجنونا لما بعث الله الرسل إليه - أنا ربكم الأعلىٰ. دلّ ذلك علىٰ أنه ينسب هذا العالم إلىٰ الدهر أو إلىٰ الطبيعة وينكر وجود الإله الخالق الذي له عليهم الأمر والنهي من غير أن ينسب هذا الخلق لنفسه؛ ولما اعتقد خلو العالم من الإله الخالق الذي له الأمر والنهي رأىٰ أن له عليهم ما للإله من الأمر والنهي بحكم أنه مربيهم والمحسن إليهم، يقول الفخر الرازي:"لا يجوز أن يعتقد الإنسان في نفسه كونه خالقا للسموات والأرض والجبال والنبات والحيوان والإنسان، فإن العلم بفساد ذلك ضروري، فمن تشكك فيه كان مجنونا، ولو كان مجنونا

(١) البحر المحيط ٩/ ٢٥٠

(٢) التحرير والتنوير ٣٠/ ٨٠

لما جاز من الله بعثة الأنبياء والرسل إليه، بل الرجل كان دهريا منكرا للصانع والحشر والنشر، وكان يقول ليس لأحد عليكم أمر ولا نهي إلا لي، فأنا ربكم بمعنىٰ مربيكم والمحسن إليكم، وليس للعالم إله حتىٰ يكون له عليكم أمر ونهي، أو يبعث إليكم رسولا."[1]؛ **ومن هنا كان الوصف بصفة الأعلى كاشفا عن هذه العقيدة**، ويدل علىٰ هذا قول الإمام البقاعي: "يعني كلكم أرباب بعضكم فوق بعض وأنا أعلاكم، ولا رب فوقي أصلاً، وذلك لأن الإله عنده الطبيعة، وهي مقسمة في الموجودات، فهم كلهم أرباب، ومن كان أعلىٰ كان أقعد في المراد، وهو كان أعلىٰ منهم فقبحه الله ولعنه ولعن من تمذهب بمذهبه."[2]

٥ـ الكشف الدلالي عن مدى خوف فرعون من شيوع دعوة موسى وعمله على رد تلك الدعوة بشتى الوسائل ومنها اجتهاده في إقناعهم بأن ليس مجرد رب وإنما هو الرب الأعلىٰ، يقول ابن عاشور: "فجملة فحشر عطف علىٰ جملة يسعىٰ؛ لأن فرعون بذل حرصه ليقنع رعيته بأنه الرب الأعلىٰ؛ خشية شيوع دعوة موسىٰ لعبادة الرب الحق."[3]

ويؤكد على هذا الكشف الدلالي أمران:

أولهما: حرصه على إعلان هذا الادعاء فور حضور الجمع؛ حتىٰ لا تشيع دعوة موسىٰ؛ فيكون هذا الإعلان السريع ردا لها علىٰ الملأ؛ فلا

(١) مفاتيح الغيب ٣١/ ٤١، وينظر اللباب لابن عادل ٢٠/ ١٤٠، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ٦/ ٤٤٢

(٢) ظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (ت ٨٨٥هـ) ٢١/ ٢٣٣ ط: دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة

(٣) التحرير والتنوير ٣٠/ ٧٩ ، وينظر تفسير جزء عم د. مساعد الطيار ص٤٣

يستجيب لها أحد من الحاضرين؛ وقد صور هذه السرعة التي تعكس حرصه علىٰ إعلان هذا الادعاء عاملان: الأول: حذف مفعول (فَحَشَرَ) فالتقدير: فحشر قومه."[1] إلا أنه حذفه للعلم به؛ ليصور بهذا الحذف مدىٰ حرصه علىٰ سرعة إعلان ادعائه. وثانيهما: العطف بالفاء في قوله(فنادىٰ) دون غيرها من حروف العطف؛ لأن الفاء تفيد السرعة، وإلىٰ أثر هذين العاملين يقول ابن عاشور:"وحذف مفعول (حشر) لظهوره لأن الذين يحشرون هم أهل مدينته من كل صنف، وعطف فنادىٰ بالفاء لإفادة أنه أعلن هذا القول لهم بفور حضورهم لفرط حرصه علىٰ إبلاغ ذلك إليهم."[2]

والآخر: وجود عامل لغوي آخر يتآزر مع هذه الصفة في الكشف الدلالي عن مدى حرصه على رد دعوة موسى عليه السلام، وهو حكاية قول فرعون بأسلوب يعكس ما في نفسه تجاه تلك الدعوة وهو أسلوب القصر (أنا ربكم) الذي يفيد أنه يريد أن يعلن علىٰ الحاضرين أن هذه المسألة مقصورة عليه محصورة فيه لا تتجاوزه إلىٰ غيره وليس لأحد أن يدعيها؛ وبهذا تُرد دعوة موسىٰ التي جاء بها، يقول ابن عاشور: "وصيغة الحصر في أنا ربكم؛ لرد دعوة موسىٰ."[3]؛ فيكون قد صور حرصه علىٰ رد هذه الدعوة من خلال أسلوب القصر، ومن خلال الوصف بالأعلىٰ؛ وهما معا يفيدان أن الربوبية مقصورة عليه فهو الذي لا رب فوقه.

❁❁❁❁❁

(١) إعراب القرآن ٥/ ٩١

(٢) التحرير والتنوير ٣٠/ ٧٩

(٣) التحرير والتنوير ٣٠/ ٨٠

المبحث الثاني: الوصف بالجملة أو شبهها

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

في هذه الآية الكريمة يجوز في الجار والمجرور: ﴿مِّن فَوْقِهِمْ﴾ **ثلاثة أوجه إعرابية:**

الأول: أنه متعلق بـ﴿يَخَافُونَ﴾.[1] **على أنه صفة لمضاف محذوف،** والتقدير: يخافون عذاب ربهم كائنًا من فوقهم؛ فيكون: ﴿مِّن فَوْقِهِمْ﴾ صفة العذاب.[2]

وهذه الصفة ليست صفة مقيدة بمعنىٰ أنه يحترز بها عن غير الموصوف بها؛ فهي ليست لتقييد حالة خوفهم بنوع معين من العذاب وهو الموصوف بكونه من فوق؛ إذ لا يعقل أن يكون المراد أنهم يخافون عذاب ربهم إذا كان من فوقهم فقط فإذا جاء من جهة أخرىٰ فإنهم لا يخافونه، وإنما هم يخافونه من أي جهة جاء؛ **ولهذا كانت هذه الصفة كاشفة لها** أثرها في الكشف عن جهة نزول هذا العذاب فيتميز بذلك عن سائر أجناس العذاب الأخرىٰ التي تشبهه؛ وهذا لا يقتضي عدم خوفهم من أجناس العذاب الأخرىٰ التي تأتي من أي جهة، يقول ابن عادل: "﴿مِّن فَوْقِهِمْ﴾ يجوز فيه وجهان: أحدهما: أنه يتعلق بـ(يَخَافُون)، أي: يخافون عذاب ربهم كائنًا من فوقهم فقوله: مِنْ فوقِهِمْ. صفة للمضاف، وهو عذابٌ، وهي صفة

---

(١) ينظر التفسير الوسيط للواحدي ٣/ ٦٥، و الكشاف للزمخشري٢/ ٦١٠، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري للعكبري٢/ ٧٩٨ ، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل١٢/ ٧٣.

(٢) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ١٢/ ٧٣، وحاشية الشهاب علىٰ تفسير البيضاوي ٥/ ٣٣٧

كاشفةٌ؛ لأن العذاب إنَّما ينزل من فوق."[1] وعند غيره: "لأن العذاب ينزل من السماء."[2] أو: "لأن أكثر ما يأتي العقاب المهلك إنما يأتي من فوق."[3]

والثاني: أنه متعلق بـ﴿يَخَافُونَ﴾ولكن على أنه صفة للملائكة.[4] والمعنىٰ: أن الملائكة الذين هم فوق بني آدم، وفوق ما في الأرض من دابة يخافون الله مع علو رتبتهم.[5] ولا يعقل أن يكون هذا الوصف من باب التقييد؛ لأنه لا توجد ملائكة لا تخاف الله سواء أكانوا فوق بني آدم، وفوق ما في الأرض من دابة أم معهم أم تحتهم؛ فيكون للتقييد فائدة وهي الاحتراز من غير الموصوف بهذه الصفة من الملائكة، وإنما هذا الوصف كاشف له وظيفته في الكشف الدلالي عن معنىٰ أولوية خوف مَنْ هُمْ دون الملائكة؛ فإذا كان الملائكة، وهم فوق ما في الأرض من دابة يخافون ربهم فخوف من دونهم أولىٰ.[6] **يدل على هذا قول الواحدي: "﴿مِّن فَوْقِهِمْ﴾** من صفة الملائكة، والمعنىٰ: أن الملائكة الذين هم فوق بني آدم، وفوق ما في الأرض من دابة يخافون الله مع علو رتبتهم، فلأن يخاف من دونهم أولىٰ."[7]

(١) اللباب في علوم الكتاب(١٢/ ٧٣).

(٢) النكت والعيون للماوردي ٣/ ١٩٢، وينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/ ١١٣

(٣) التفسير الوسيط للواحدي ٣/ ٦٥، وينظر المحرر الوجيز لابن عطية ٣/ ٣٩٩

(٤) التفسير الوسيط ٣/ ٦٥

(٥) التفسير الوسيط للواحدي ٣/ ٦٥

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/ ١١٣

(٧) التفسير الوسيط للواحدي ٣/ ٦٥، وينظر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي ص٦٠٩

ويؤكد هذا الكشف الدلالي الاقتران السياقي بقوله تعالى:﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل:٥٠].فهو معطوف علىٰ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾.(١) وهو لا ينصرف إلا إلىٰ الملائكة؛ فدلّ هذا علىٰ أن المعطوف عليه ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ من فعلهم أيضا؛ وإذا ثبت هذا ثبت أن مَنْ هُمْ دونهم في الفوقية أولىٰ منهم بهذا الخوف.(٢)

الثالث: أنه متعلق بمحذوفٍ علىٰ أنه حال من رَبِّهِمْ.(٣) والتقدير: يخافون ربَّهم عاليًا عليهم.(٤) والحال صفة في المعنىٰ.(٥) فهي في الحقيقة: وصف هيئة الفاعل أو المفعول به وقت وقوع الفعل المنسوب إليهما.(٦) أو هي: وصف فضلة مذكور لبيان الهيئة.(٧) وباعتبار كونها صفة أوصفا فهي عند تعلقها بمحذوف حال من ربهم لها وظيفتها في الكشف الدلالي عن الأمور الآتية:

---

(١) إعراب القرآن للدعاس٢/ ١٦٢، وإعراب القرآن لدرويش ٥/ ٣١٢، والجدول في إعراب القرآن لصافي١٤/ ٣٣٠

(٢) ينظر التفسير الوسيط للواحدي ٣/ ٦٥، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/ ١١٣

(٣) ينظر الكشاف للزمخشري٢/ ٦١٠، والمحرر لابن عطية ٣/ ٣٩٩، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري٢/ ٧٩٨.

(٤) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل١٢/ ٧٣.

(٥) الكليات للكفوي ٥٤٥

(٦) اللمع في العربية لابن جني ص٦٢، واللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري ١/ ٢٨٤

(٧) أوضح المسالك إلىٰ ألفية بن مالك لابن هشام ٢/ ٢٤٩ ، والتصريح بمضمون التوضيح لخالد الأزهري ١/ ٥٦٩

١ـ الكشف عن موجب خوفهم من ربهم؛ وهو علوه تعالىٰ وقدرته عليهم وقهره لهم. يقول ابن عادل: "الثاني: أنه متعلق بمحذوفٍ علىٰ أنه حال من رَبِّهِمْ، أي: يخافون ربَّهم عالياً عليهم علوَّ الرتبة والقدرة قاهراً لهم."(١) فالمعنىٰ: "يخافون ربهم الذي فوقهم بالقوة والقدرة فلا يعجزه شيء ولا يغلبه أحد."(٢) أو:" يخافون ربهم غالباً لهم قاهرا."(٣)؛ فموجب الخوف العلو والقدرة والقهر والغلبة وهو الذي كشفت عنه الصفة﴿مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾. **ولكن ينبغي أن يُفهم أن الفوقية الموجبة للخوف هنا فوقية القهر والغلبة وليست فوقية الجهة والمكان**؛ إذ فوقية الجهة والمكان لا تستلزم الخوف بخلاف فوقية القهر والغلبة، يقول الرازي: "المراد بالفوقية الفوقية بالقهر والقدرة لأنها هي الموجبة للخوف، أما الفوقية بالجهة والمكان فهي لا توجب الخوف بدليل أن حارس البيت فوق الملك بالمكان والجهة مع أنه أخس عبيده."(٤)

٢ـ الكشف عن نوع مخافتهم للّٰه تعالى بأنها مخافة إجلال وتعظيم؛ لكونه تعالىٰ في أعلىٰ مراتب القادرين فلا قادر أقدر منه، فعند الواحدي: "لما كان موصوفا بأنه علي متعال علو الرتبة في القدرة، حسن أن يقال: من فوقهم ليدل علىٰ أنه في أعلىٰ مراتب القادرين، وهذا معنىٰ قول ابن عباس في رواية مجاهد، قال: ذلك مخافة الإجلال."(٥) وبهذا يكون المعنىٰ:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب(١٢/ ٧٣).

(٢) الكشف والبيان ٦/ ٢١

(٣) مدارك التنزيل للنسفي ٢/ ٢١٦

(٤) مفاتيح الغيب ٢٠/ ٢١٨

(٥) التفسير الوسيط ٣/ ٦٥، وينظر إيجاز البيان للنيسابوري ٢/ ٤٨٤

"يخافون ربهم خوف مجلين مُعظمين."[١] أو: "يخافون ربهم معظّمين له عالمين بعظيم سلطانه."[٢]

ويؤكد هذا الكشف الدلالي أمران:

الأول: اقتران القهر بالفوقية في السياق القرآني ومن ذلك: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾[الأنعام:١٨] ومنه:﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف:١٢٧].[٣]

والثاني: ثبوت هذا النوع من المخافة للملائكة ـ وهم من جملة من ذكر في:﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل:٤٩]؛ فقد روي عن النبيّ ﷺ أنه قال: «إن لله تَعَالَىٰ مَلائِكَةً فِي السَّمَاءِ السّابعة سجودا مُذْ خَلَقَهُمُ الله تَعَالَىٰ إلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، تُرْعَدُ فَرَائِصُهُمْ مِنْ مَخَافَةِ الله تَعَالَىٰ، فَإِذا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ رَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ فَقَالُوا: ما عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ".[٤]، يقول السمرقندي:

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج(ت ٣١١هـ) ٣/ ٢٠٣ ط/ ١، عالم الكتب – بيروت ١٤٠٨ هـ =١٩٨٨ م

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) تح: عبد الرزاق المهدي ٢/ ٥٦٤ ط١: الكتاب العربي، بيروت: ١٤٢٢ هـ

(٣) الكشف والبيان ٦/ ٢١، و التفسير الوسيط ٣/ ٦٥، والكشاف ٢/ ٦١٠ ، والدر المصون ٧/ ٢٣٤.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين(كتاب معرفة الصحابة برقم ٤٥٠٢) ٣/ ٩٣، والبيهقي في شعب الإيمان(الإيمان بالملائكة برقم ١٦٤) ١/ ٣٢٤

"فذلك قوله: يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ أي: يخافون خوفا، معظمين، مجلّين."[1]

فإذا ثبت هذا النوع من المخافة للملائكة ثبت لغيرهم ممن ذكر معهم؛ لأن الوصف الذي كشف عن نوع المخافة وهو كونه تعالىٰ في أعلىٰ مراتب القادرين ثابت لله تعالىٰ مع الملائكة ومع غيرهم فهو من فوق الجميع وليس من فوق الملائكة وحدهم؛ فتثبت مخافة الجميع له مخافة الإجلال والتعظيم؛ لكونه من فوق الجميع.

٣ـ الكشف عن صفة من صفات الله تعالى وهي صفة العلو التي وصف الله تعالىٰ بها نفسه من غير تكييف ويكون المعنىٰ:"يخافون ربهم الذي علىٰ العرش كما وصف نفسه."[2] ويدل علىٰ هذا تعقيب الإمام السمعاني علىٰ هذه الآية بقوله: "هذه صفة الْعُلُوّ التي تفرد الله بها، وهو كما وصف به نفسه من غير تكييف."[3]؛ وبهذا يكون هذا القول ثناءً علىٰ الله تعالىٰ، وتعظيما لشأنه، إذ المعنىٰ حينئذ: "يخافون ربهم عاليًا رفيعًا عظيمًا."[4]؛ ولهذا رد فريق من العلماء أن تكون من فوقهم حالا من ربهم لما توهمه من الجهة في حق الله، يقول الكرماني:"وليس قوله: (مِنْ فَوْقِهِمْ) حالًا من ربهم، تعالىٰ الله عن الجهة والمكان. وقيل: فوق علو لا فوق مكان."[5]

❁❁❁❁❁

(١) بحر العلوم ٢/ ٢٧٦

(٢) بحر العلوم ٢/ ٢٧٦

(٣) تفسير القرآن ٣/ ١٧٧

(٤) زاد المسير ٢/ ٥٦٤

(٥) غرائب التفسير وعجائب التأويل ١/ ٦٠٧

الموضع الثاني: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ [النور: ٦٠].

في هذه الآية الكريمة وقعت جملة: ﴿ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ صفة أو نعتا للقواعد.(١) **وليس المراد من هذا الوصف التقييد**، بمعنىٰ أن الغرض منه إخراج كل من لم تتحقق فيه هذه الصفة، أو الاحتراز به عن القواعد اللاتي يرجون النكاح، وإنما الغرض من هذا الوصف الكشف الدلالي عن أمر معين، فهو وصف كاشف أو صفة كاشفة، ففي حاشية الشهاب: "وقوله: لا يرجون نكاحا صفة كاشفة"(٢)، وفي التحرير: "وقوله: اللاتي لا يرجون نكاحا وصف كاشف للقواعد وليس قيدا."(٣)

ويتمثل الكشف الدلالي لهذا الوصف في الكشف عن علة القعود التي تجيز العمل بالحكم المذكور في الآية وهو جواز وضع الثياب الظاهرة كالجلباب من غير قصد التبرج، وهي قعودهن ليس عن الحيض والولد وإنما عن الاستمتاع بهن حيث أيسن ولم يبق لهن طمع في الأزواج لكبرهن وزوال محاسنهن وعزوف نفوس الرجال عنهن.

وقد كان هذا الوصف كاشفا وليس مقييدا؛ لأن القواعد: كل من قعدت عن الحيض والولد؛ لكنها قد تقعد عنهما ولكن مازال فيها مستمتع للرجال ولهم فيها رغبة فلا تتدخل في هذا الحكم حتىٰ ولولم تكن ترجو

(١) التبيان في إعراب القرآن للعكبري ٢/ ٩٧٨، والبحر المديد لابن عجيبة ٤/ ٦٦ ، وروح المعاني للآلوسي ٩/ ٤٠٧، والجدول في إعراب القرآن لصافي ١٨/ ٢٩٢

(٢) حاشية الشهاب علىٰ تفسير البيضاوي لشهاب الدين الخفاجي(ت ١٠٦٩هـ) ٦/ ٣٩٨ ط: دار صادر – بيروت .

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٨/ ٢٩٧

النكاح، يقول المظهري(١٢٢٥هـ):"لا يَرْجُونَ نِكاحًا صفة للقواعد، أي: لا يطمعن فيه لكبرهن. قال ربيعة يعنىٰ العجائز اللاتي إذا رآهن الرجال استقذروهن فأما من كانت فيها بقية جمال وهىٰ محل للشهوة فلا تدخل في هذه الاية."[1]؛ ويترتب علىٰ هذا أنه قد تقعد عن الحيض والولد ويزول ما بها من محاسن يستمتع بها الرجال وتنصرف الرغبة عنها ومع ذلك ترجو النكاح فتدخل في هذا الحكم مع وجود الرغبة في النكاح؛ لأن علة الحكم التي يكشف عنها هذا الوصف غير متحققة.

ويؤكد على هذا أن هذا الوصف لا يعد كاشفا إلا إذا فُسَّر القعود بقعودهن عن الاستمتاع بهن حيث أيسن ولم يبق لهن طمع في الأزواج لكبرهن وزوال محاسنهن وعزوف نفوس الرجال عنهن، أما إذا فسر بمجرد القعود عن الحيض والولد فلا يكون كاشفا وإنما يكون مخصصا؛ لأن من تقعد عن الحيض والولد قد يكون فيها مع هذا القعود رَغْبَةٌ للرجال وقد لا يكون؛ فتكون نوعان؛ فيكون الغرض تخصيص النوع الثاني بالذكر؛ حتىٰ لا يدخل النوع الأول في الحكم، أما إذا فُسَّر القعود بقعودهن عن الاستمتاع بهن حيث أيسن ولم يبق لهن طمع في الأزواج؛ فلا يكون هناك أنواع؛ لأنهن في هذه الحالة نوع واحد وهو الذي انقطع رجاؤه في النكاح لانصراف الرغبة عنه؛ ويكون هذا من باب الوصف الكاشف، يدل علىٰ هذا قول ابن عجيبة: "والظاهر أن قوله: لا يَرْجُونَ نِكاحًا: نعت مُخَصِّصٌ، إن فُسِّرَ القعود فيها بالقعود عن الحيض والولد لأنه قد يكون فيها مع ذلك رَغْبَةٌ للرجال. وقد يُجْعَلُ كاشفًا إذا فسر القعود باستقذار الرجال لهن من عزوف النفس

(١) التفسير المظهري ٦/ ٥٥٩

عنهن، فقوله: لا يَرْجُونَ نِكاحًا أي: لا يطمعن في رغبة الرجال فيهن."[١]؛

ويؤكد هذا الكشف الدلالي عدة أمور:

١ـ أن علة القعود عن الاستمتاع ـ التي كشف عنها هذا الوصف ـ هي واحدة من علل التسمية التي علل بها العلماء لتسمية القواعد بهذا الاسم، فعند الألوسي:"سميت العجائز قواعد؛ لأنهن يكثرن القعود لكبر سنهن، وقال ابن ربيعة: لقعودهن عن الاستمتاع حيث أيسن ولم يبق لهن طمع في الأزواج فقوله:﴿لَا يَرۡجُونَ نِكَاحًا﴾ أي لا يطمعن فيه لكبرهن صفة كاشفة."[٢]

٢ـ أن العلة التي كشف عنها هذا الوصف هي عين ما علل به العلماء لهذا الحكم، فقد جاء: "وإنما جاز لهن ذلك لانصراف الأنفس عنهن، إذ لا رغبة للرجال فيهن، فأباح الله سبحانه لهن ما لم يبحه لغيرهن."[٣]؛ فهذا يفيد أن علة الجواز انصراف الأنفس عنهن وعدم رغبة الرجال فيهن وليس مجرد القعود عن الحيض والولد.

٣ـ حكم العلماء على تفسير القعود في الآية بأنه: القعود عن الحيض والولد بعدم الاستقامة الدلالية، يقول الشوكاني: "﴿ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحًا﴾ أي: لا يطمعن فيه لكبرهن. قال أبو عبيدة: اللاتي قعدن عن الولد، وليس هذا بمستقيم، لأن المرأة تقعد عن الولد وفيها مستمتع."[٤] وإذا كان الشوكاني قد صرح بعدم استقامته فإن أبا جعفر

---

(١) البحر المديد ٤/ ٦٦

(٢) روح المعاني ٩/ ٤٠٧، وينظر روائع البيان تفسير آيات الأحكام للصابوني ٢/ ٢٠٨

(٣) نيل المرام من تفسير آيات الأحكام لأبي الطيب محمد صديق خان القِنَّوجي (ت ١٣٠٧هـ) تح: محمد حسن ص٤٠٨ ط: دار الكتب العلمية ٢٠٠٣م

(٤) فتح القدير ٤/ ٦١

النحاس قد مهد له الطريق لهذا الحكم باستدراكه علىٰ أبي عبيدة برأي غيره بعد أن أورد رأيه، مع تعليله لهذا الاستدراك بما يدل علىٰ أن مسألة القعود عن الحيض والولد ليست هي علة القعود المقصودة في الآية وإنما العلة هي انقطاع رجائها في الزواج لانصراف الرغبة عنها، فقال: "أبو عبيدة يذهب إلىٰ أن المعنىٰ اللواتي قعدن عن الولد. وقال غيره يراد بهذا العجوز الكبيرة التي قعدت عن التصرف؛ لأنها قد تقعد عن الولد وفيها بقية جمال، قال ربيعة هي التي إذا رأيتها استقذرتها."[1]؛ **فهذا يدل على أن مسألة القعود عن الحيض والولد لا تنهض سببا لوضع الثياب**؛ لأنها قد يكون بها بقية جمال ترغب الرجال فيها فتتطمع حينئذ في النكاح؛ فلا يسوغ لها في هذه الحالة وضع الثياب؛ ومن هنا كان هذا التفسير غير مستقيم.

٤ـ **تفسير الآئمة لقوله:**﴿لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا﴾ بما يتوافق مع هذا الكشف الدلالي، فمعناه عند الفراء:"لا يطمعن في أن يتزوجن من الكبر."[2] وعند الطبري:"اللاتي قد يئسن من البعولة، فلا يطمعن في الأزواج."[3] وعند الثعلبي:"لا يطمعن في التزوّج وأيسن من البعولة."[4] فهذه التفاسير تدل علىٰ أن القعود هنا ليس القعود عن الحيض والولد وإنما المراد القعود عن الاستمتاع بهن حيث أيسن ولم يبق لهن طمع في الأزواج لكبرهن وزوال محاسنهن وعزوف النفس عنهن.

---

(١) معاني القرآن ٤/ ٥٥٥

(٢) معاني القرآن ٢/ ٢٦١

(٣) جامع البيان ١٩/ ٢١٦

(٤) الكشف والبيان ٧/ ١١٧

٤- أن الخبر، وهو قوله تعالى:﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾[النور:٦٠] قد اقترن بالفاء وهذا الاقتران يوحي بمعنى التسبب والشرطية بين المبتدأ والخبر؛ لأنه يشعر بأن المبتدأ يترقب ما يرد بعده فيكون كالشرط الذي يترقب الجزاء أو الجواب، فهو مثل قوله تعالىٰ:﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾[المائدة:٣٨]؛ ولا يُعقل أن يكون القعود عن الحيض والولد هو سبب رفع الجناح في وضع الثياب؛ لأنه لو كان الأمر كذلك لجاز للتي قعدت عنهما وبها بقية جمال ومستمتع للرجال أن تضع ثيابها وهذا لم يقل به أحد؛ وإنما المعقول أن رفع الجناح إنما كان لانقطاع الطمع في النكاح لعدم وجود الداعي إلىٰ ذلك من الجمال والشباب ونحوه مما يرغب الرجال في النساء، ففي التحرير: "واقترن الخبر بالفاء في قوله فليس عليهن جناح لأن الكلام بمعنىٰ التسبب والشرطية، لأن هذا المبتدأ يشعر بترقب ما يرد بعده فشابه الشرط كما تقدم في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]."[1]

❁❁❁❁❁

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٨/ ٢٩٧

الموضع الثالث: ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النجم:٣٢].

في هذه الآية الكريمة وقع قوله تعالىٰ: ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ صفة لأجنّة.(١)

وليس الغرض هنا التقييد؛ إذ لا يمكن القول بأن المراد الاحتراز عن الأجنة التي ليست في بطون أمهاتهم، وإنما هي صفة كاشفة الغرض منها الكشف الدلالي عن معنىٰ معين، هو:

١ـ الكشف الدلالي عن المرحلة التي يسمى فيها الجنين بهذا الاسم وهي مرحلة كونه في بطن أمه دون غيرها من المراحل التي قبلها كمرحلة كونه ماء في الصلب والترائب، أو بعدها كالمراحل التي يمر بها بعد خروجه من البطن بالولادة ككونه وليدا ثم صديغا ثم رضيعا ثم طفلا إلىٰ غير ذلك.(٢) ومن هنا كانت هذه الصفة للدلالة على أن الجنين لا يستحق هذا الاسم إلا في تلك المرحلة فقط، فعند الطاهر بن عاشور:"﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ صفة كاشفة؛ إذ الجنين لا يقال إلا علىٰ ما في بطن أمه."(٣)

ويؤكد هذا الكشف الدلالي أمران: أولهما: الاقتران السياقي بلفظ الأجنة؛ إذ كان من الممكن في غير القرآن أن يقول: وإذ أنتم في بطون أمهاتكم؛ إلا أنه لما قال: ﴿أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ نبه إلى أنه لا

(١) إعراب القرآن للدعاس ٣/ ٢٧٩، وإعراب القرآن وبيانه لدرويش ٩/ ٣٦٢، والجدول في إعراب القرآن الكريم لصافي ٢٧/ ٥٢، والمجتبىٰ من مشل إعراب القرآن للخراط٤/ ١٢٥٢

(٢) ينظر لهذه المراحل وأسمائها فقه اللغة وسر العربية للثعالبي (ت ٤٢٩هـ)تح: عبد الرزاق المهدي ص٧٧ ، ط١: إحياء التراث العربي: ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م

(٣) التحرير والتنوير٢٧/ ١٢٥

يكون جنينا إلا وهو في هذه المرحلة (في بطن أمه) فإذا جاوزها فلا يكون جنينا؛ إذ الجنين: "هو الولد ما دام في البطن."[١] أو هو: "نسل الحيوان ما دام في الرحم."[٢]؛ وفي هذا تأكيد علىٰ الكشف الدلالي لهذا الوصف.

وثانيهما: التوافق بين هذا الكشف الدلالي لهذا الوصف وبين علة تسمية الجنين بهذا الاسم؛ فالجنين إنما سمي جنينا؛ لاجتنانه، أي استتاره.[٣]؛ وهذه العلة لا تتحقق إلا في هذه المرحلة ـ مرحلة وجوده في بطن أمه ـ فإذا ظهر بخروجه من البطن زالت عنه؛ ومن هنا كان التوافق بين علة تسميته جنينا وبين الوصف بقوله: في بطون أمهاتكم؛ لأنها تعبر عن المرحلة التي تتحقق فيها تلك العلة؛ ولهذا علل الشوكاني لمجيء: ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ بعلة الاستتار هذه، فقال: "الأجنة: جمع جنين هو الولد ما دام في البطن، سمي بذلك لاجتنانه، أي: استتاره، ولهذا قال: في بطون أمهاتكم فلا يسمىٰ من خرج عن البطن جنينا."[٤]

٢ـ الكشف الدلالي عن اختلاف أطوار الأجنة في هذه المرحلة، وإحاطة علمه سبحانه بجميع هذه الأطوار؛ حيث تعلق علمه بهذه المرحلة كاملة بجميع أطوارها؛ فقد قال: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ [النجم: ٣٢]؛ فهو يفيد أن علم الله تعالىٰ قد تعلق بجميع هذه الأطوار؛ إذ لم يستثن منها شيئا، وفي هذا

---

(١) الكشف والبيان ٩/ ١٥٠

(٢) التحرير والتنوير٢٧/ ١٢٤

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ٩/ ١٥٠، ومعالم التنزيل للبغوي ٤/ ٣١٢، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور٢٧/ ١٢٤

(٤) فتح القدير ٥/ ١٣٦

يقول الطاهر بن عاشور: "وفائدة هذا الكشف أن فيه تذكيرا باختلاف أطوار الأجنة من وقت العلوق إلىٰ الولادة، وإشارة إلىٰ إحاطة علم الله تعالىٰ بتلك الأطوار."[1] وعند الألوسي: "وذكر: (فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ) مع أن الجنين ما كان في البطن للإشارة إلىٰ الأطوار."[2] والمعنىٰ: "يعلم وقت كونكم أجنّة فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ علىٰ أطوار مختلفة، لا يخفىٰ عليه حالٌ مِن أحوالكم، ولا عمل من أعمالكم."[3] أو المعنىٰ: "واذكروا وقت كونكم أجنة فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ علىٰ أطوار مختلفة مترتبة لا يخفىٰ عليه سبحانه حال من أحوالكم وعمل من أعمالكم."[4]

٣ـ **الكشف الدلالي عن كمال علم الله تعالى وقدرته**؛ لأن من علم بحال الجنين وهو في بطن أمه لا يخفىٰ عليه شيء من أحوال العباد الظاهرة، يقول الفخر الرازي: "الأجنة هم الذين في بطون الأمهات، وبعد الخروج لا يسمىٰ إلا ولدا أو سقطا، فما فائدة قوله تعالىٰ: في بطون أمهاتكم؟ نقول: التنبيه علىٰ كمال العلم والقدرة، فإن بطن الأم في غاية الظلمة، ومن علم بحال الجنين فيها لا يخفىٰ عليه ما ظهر من حال العباد."[5]

٤ـ **لهذا الوصف أثره في الكشف عن نسب ولد الزنا**؛ إذ هو من ضمن الأجنة التي نسبت جميعها إلىٰ بطون الأمهات، وإلىٰ هذا انتبه الإمام

(١) التحرير والتنوير٢٧/ ١٢٥
(٢) روح المعاني ١٤/ ٦٣
(٣) البحر المديد لابن عجيبة ٥/ ٥١١
(٤) روح المعاني ١٤/ ٦٣
(٥) مفاتيح الغيب ٢٩/ ٢٧٢، وينظر البحر المحيط لأبي حيان ١٠/ ٢٢، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل ١٨/ ١٩٩

القصاب(ت٣٦٠هـ) فقال:"﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ دليل علىٰ تثبيت نسب ولد الزنا من أمه، ومغني عن قياسه علىٰ ولد الملاعنة، لدخول ولد الزنا - لا محالة - في هذا الخطاب، ونسبته - جل وتعالىٰ - جميع الأجنة إلىٰ الأمهات."(١)

❁❁❁❁❁

(١) النكت الدالة علىٰ البيان في أنواع العلوم والأحكام: أحمد محمد بن علي القصَّاب (ت ٣٦٠هـ) ٤/ ٢٠٤ تح: شايع بن عبده بن شايع الأسمري، وآخرون ط/ ١، دار القيم - دار ابن عفان: ١٤٢٤ هـ= ٢٠٠٣ م

الموضع الرابع: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا﴾[النبأ:٢٣، ٢٤].

تعددت أقوال العلماء في هذه الآية الكريمة في معنىٰ أحقابا، وفي موقعها الإعرابي، وفي معنىٰ لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا وفي موقعها الإعرابي.(١)

والذي يهم البحث من هذه الأقوال ما يقع في نطاقه وهو أن ﴿أَحۡقَابٗا﴾ **ليست جمع(حُقْب) بمعنىٰ الفترة الزمنية المعروفة، وإنما هو جمع(حَقِب) كـ(حَذِر) بمعنىٰ المحروم من الخير.(٢) ، وهذا المعنىٰ مأخوذ من حَقِب عامُنا: إذا قَلَّ مطرُه، وحَقِبَ فلانٌ إذا أخطأه الرزق، فهو حقبٌ وجمعه: أحْقَاب.(٣)، وهو معنىٰ أثبتته معجمات اللغة.(٤)، وهو مشتق أو مأخوذ من الحَقَب بمعنىٰ احتباس بول البعير.(٥)؛ وعليه لا تكون**

(١) ينظر هذه الأقوال في كثير من المصادر منها: مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ٢/ ٧٩٥، والكشاف للزمخشري ٤/ ٦٨٩، مفاتيح الغيب للرازي ٣١/ ١٦، وأنوار التنزيل للبيضاوي ٥/ ٢٨٠، ومدارك التنزيل للنسفي ٣/ ٥٩١، والبحر المحيط لأبي حيان ١٠/ ٣٨٧، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل ٢٠/ ١٠٥

(٢) ينظر حاشية الشهاب علىٰ تفسير البيضاوي ٨/ ٣٠٦ ، و روح المعاني للآلوسي ١٥/ ٢١٥

(٣) ينظر الكشاف ٤/ ٦٨٩

(٤) يقول ابن دريد"حَقِبَ عامنا إذا قَلَّ مطره." (جمهرة اللغة(ب ح ق ـ حقب) ويقول الجوهري :"حَقِبَ العامُ، إذا احتبس مطرُهُ." (تاج اللغة وصحاح العربية(حقب) ١/ ١١٤، ومقاييس اللغة لابن فارس(ح ق ب) ٢/ ٨٩)

(٥) يقول الزمخشري:"الحَقَب: أَن يتعسر الْبَوْل علىٰ الْبَعِير. وَمِنْه: حقب عامنا: إِذا احْتبسَ مطره." (الفائق في غريب الحديث(حقب) ١/ ٣٠٠)

﴿أَحْقَابًا﴾ **منصوبة على الظرفية، وإنما على أنها حال من﴿لَّٰبِثِينَ﴾،** أي: لابثين فيها حقبين مجدبين محرومين من النعيم كما يُحْرَم العام الخير بقلة المطر، ويُحرم الإنسان الخير إذا أخطأه الرزق.(١)

وإنما كان هذا ما يهم البحث؛ لأنه هو الذي يترتب عليه أن تكون جملة: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ صفة أو تفسيرا لأحقابا، يقول الزمخشري:"وفيه وجه آخر: وهو أن يكون من «حقب عامنا» إذا قل مطره وخيره، وحقب فلان: إذا أخطأه الرزق، فهو حقب، وجمعه أحقاب، فينتصب حالا عنهم، يعنىٰ لابثين فيها حقيبين مجدبين. وقوله لا يَذُوقُونَ فِيها بَرْداً وَلا شَراباً تفسير له والاستثناء منقطع، يعنىٰ: لا يذوقون فيها بردا وروحا ينفس عنهم حرّ النار، ولا شرابا يسكن من عطشهم، ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا"(٢) وذكر هذا القول كثير من العلماء. (٣)

وهذه الصفة ليس الغرض منها التقييد؛ إذ ليس المراد الاحتراز بها عمن لم تتحقق فيه، فيخرج بها الأحقاب الذين يذوقون فيها بردا أو شرابا؛ لأن هذا النوع غير موجود أصلا حتىٰ يُحترز منه بهذه الصفة؛ إذ لا أنواع للأحقاب فليس منهم من يذوق ومنهم من لا يذوق وإنما هم نوع واحد

---

(١) ينظر الكشاف للزمخشري ٤/ ٦٨٩، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١٠/ ٣٨٧، وحاشية الشهاب علىٰ تفسير البيضاوي ٨/ ٣٠٦ ، وروح المعاني للآلوسي ١٥/ ٢١٥

(٢) الكشاف ٤/ ٦٨٩

(٣) ينظر مفاتيح الغيب للرازي ٣١/ ١٦، وأنوار التنزيل للبيضاوي ٥/ ٢٨٠، ومدارك التنزيل للنسفي ٣/ ٥٩١، والبحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي ١٠/ ٣٨٧، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل ٢٠/ ١٠٥

موصوفون بأنهم لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا؛ وعليه فهذه صفة كاشفة جيء بها لغرض دلالي معين، نبه إليه الشهاب الخفاجي بقوله: "ويجوز أن يكون جمع حقب كحذر بمعنىٰ محروم من النعيم، وهو حال من الضمير المستتر في لابثين وحرمانه كناية عن أنه معاقب، ولذا فسره بما بعده علىٰ أنه صفة كاشفة."(١)

والغرض الدلالي لهذه الصفة هو الكشف الدلالي عن كيفية حرمانهم الخير أوالنعيم؛ فقد عُلم بهذا الوصف أن حرمانهم من النعيم يكون بحرمانهم مما يُنَفِّس عنهم حرّ جهنم ويخفف عنهم عذابها من البرد والشراب، ويوضح هذا قول الألوسي:"وجُوِّز أن يكون ﴿أَحۡقَابٗا﴾ جمع حقب كحذر من حقب الرجل إذا أخطأه الرزق، وحقب العام إذ قل مطره وخيره. والمراد محرومين من النعيم وهو كناية عن كونهم معاقبين فيكون حالا من ضمير﴿لَّٰبِثِينَ﴾وقوله تعالىٰ:﴿لَّا يَذُوقُونَ﴾ صفة كاشفة أو جملة مفسرة لا محل لها من الإعراب. والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار فلا ينافي أنهم قد يعذبون بالزمهرير، والشراب معروف."(٢)

❁❁❁❁❁

(١) حاشية الشهاب علىٰ تفسير البيضاوي ٨/ ٣٠٦

(٢) روح المعاني ١٥/ ٢١٥ ، وينظر روح البيان ١٠/ ٣٠٤

الموضع الخامس: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ٢].

هذا القول الكريم جاء في موضع خفض نعت أو صفة للمطففين.(١)

وهذه الجملة لها دلالتها في الكشف عن بعض الأمور المبهمة في قوله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]، وهي:

الأول: الكشف عن كيفية تطفيفهم الذي استحقوا به الويل والذم، يقول أبو السعود: "﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ صفةٌ كاشفةٌ للمطففينَ شارحةٌ لكيفية تطفيفهم الذين استحقُّوا بهِ الذمَّ والدعاءَ بالويل أي إذَا اكتالُوا منَ النَّاسِ مكيلَهم بحكمِ الشراءِ ونحوِهِ يأخذونَهُ وافيًا وافراً."(٢)

الثاني: أنها بيان أو كشف للمطففين، من هم؟ يقول الشوكاني: " ثم بين سبحانه المطففين من هم؟ فقال: الذين إذا اكتالوا علىٰ الناس يستوفون أي: يستوفون الاكتيال والأخذ بالكيل."(٣)

الثالث: الكشف عن عادة ذميمة فيهم، ففي التحرير: "فجملة الذين إذا اكتالوا علىٰ الناس يستوفون، مسوقة لكشف عادة ذميمة فيهم هي الحرص علىٰ توفير مقدار ما يبتاعونه بدون حق لهم فيه."(٤)

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠٨

(٢) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ٩/ ١٢٤، وينظر روح البيان لإسماعيل حقي ١٠/ ٣٦٤، وتفسير المراغي ٣٠/ ٧٢ ، وبيان المعاني لعبد القادر حويش ٤/ ٥٠٩

(٣) فتح القدير ٥/ ٤٨٣ ، وينظر محاسن التأويل للقاسمي ٩/ ٤٢٨، و التفسير القرآني للقرآن للخطيب ١٦/ ١٤٨٧

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٣٠/ ١٩٠

الرابع: الكشف عن منزلتهم في تعدي الحق التي استوجبوا بها الذم والويل، فالاستيفاء أصله: طلب الوفاء الذي هو: تمام مقدار الحق فقط من غير زيادة، وهي منزلة محمودة؛ إلا أنه لما ذكر ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ عقب:﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾؛ كشفت هذه العبارة عن تجاوزهم المنزلة المحمودة إلىٰ منزلة أخرىٰ هي: "الذّم ليبين منزلتهم في تعدّي الحق."[1]؛ فالسين والتاء هنا للمبالغة وليس للطلب.[2] فبين بهذه العبارة أن الاستيفاء المقصود هنا ليس الاستيفاء المحمود الذي هو مجرد طلب الوفاء، وإنما هو: الزيادة علىٰ ما استحق.[3] وهو استيفاء مذموم. ففي روح البيان: "المراد بالاستيفاء ليس أخذ الحق وافيا من غير نقص بل مجرد الأخذ الوافي الوافر حسبما أرادوا بأي وجه يتيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس الكيل وتحريك المكيال والاحتيال في ملئه فيسرقون من أفواه المكاييل وألسنة الموازين."[4]

والمعنى العام للآية بناء على هذه الصفة الكاشفة: الذين إذا اكتالوا من الناس ما لهم قِبَلَهم من حق يستوفون لأنفسهم فيكتالونه منهم وافيا وافرا.[5]

---

(١) تفسير ابن فورك ٣/ ١٧٢

(٢) حاشية الشهاب علىٰ تفسير البيضاوي ٨/ ٣٣٤

(٣) النكت والعيون ٦/ ٢٢٦

(٤) روح البيان ١٠/ ٣٦٤

(٥) ينظر جامع البيان للطبري ٢٤/ ٢٧٨، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥/ ٢٩٧، وأنوار التنزيل للبيضاوي ٥/ ٢٩٤

أو: الذين إذا اشتروا لأنفسهم استوفوا في الكيل والوزن، وإذا باعوا، أو وزنوا لغيرهم نقصوا."[١].

ويؤكد على هذا المعنى عدة أمور:

أولها: مجموعة العناصر اللغوية المحيطة بهذه الصفة الكاشفة، تلك العناصر التي تكوّن سياقا داخليا يؤكد علىٰ المعنىٰ الذي كشفت عنه هذه الصفة، **وتتمثل هذه العناصر في الآتي:**

١- أن ﴿عَلَى﴾ في هذا السياق وقعت بمعنى(مِن) فمعنىٰ ﴿إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: اكتالوا من الناس؛ وهناك فارق دلالي بين استعمال (مِن) مباشرة واستعمال علىٰ بمعناها؛ فاستعمال (مِن) مباشرة لا يحمل ذما لمن يكتال؛ لأن معنىٰ اكتلت منك، أي استوفيت منك حقي من غير زيادة، أما وضع(علىٰ) موضعها فيحمل ذما لمن يكتال؛ لأنه ينزله منزلة من يأخذ حقا علىٰ غيره لنفسه فيضر من أخذ منه حقه بالزيادة عليه ويضر نفسه بإيجاب حق عليها لم يكن لها حين أخذته زيادة علىٰ ما لها، فمعنىٰ اكتلت عليك: أخذت ما عليك.[٢]، يقول الفراء: "يريد: اكتالوا من الناس، وهما تعتقبان: (علىٰ و مِن) في هذا الموضع؛ لأنه حق عليه، فإذا قال: اكتلت عليك، فكأنه قال: أخذت ما عليك، وإذا قال: اكتلت منك، فهو كقولك: استوفيت منك."[٣]

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي ٤/ ٤٤١، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩/ ٢٥٢، وتفسير المراغي ٣٠/ ٧٢

(٢) ينظر جامع البيان للطبري ٢٤/ ٢٧٨، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠٨

(٣) معاني القرآن ٣/ ٢٤٦، وينظر البحر المحيط لأبي حيان ١٠/ ٤٢٦، والدر المصون للسمين الحلبي ١٠/ ٧١٦

وفي هذا الاستعمال إشارة إلى عدة أمور:

أولها: أن: "اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم."[1] فعلىٰ فيه للمضرّة لأنه يقال: تحامل عليه إذا جار.[2]

وثانيها: أن: "تبديل كلمة (مِن) بـ(علىٰ) لتضمين الاكتيال معنىٰ الاستيلاء."[3] فمعنىٰ اكتالوا علىٰ الناس: استولوا علىٰ أموالهم بأي وجه من وجوه الحيل ككبس الكيل وتحريك المكيال والاحتيال في ملئه فيسرقون من أفواه المكاييل وألسنة الموازين.[4]

وثالثها: "الإشارة إلىٰ ما فيه عملهم المنكر من الاستعلاء والقهر. شأن المتغلب المتحامل المتسلط، الذي لا يستبرئ لدينه وذمته."[5]؛ فمن معاني علىٰ في اللغة الاستعلاء، كقوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ﴾ [المؤمنون:٢٢].[6]، وهذا المعنىٰ يتناسب مع وضعهم من ملك المال اللازم للبيع والشراء وامتلاك المكاييل والموازين ومباشرتهم لعملية الكيل والوزن بأنفسهم دون من يبيعون لهم أو يشترون منهم؛ مما جعلهم في موضع الاستعلاء والتغلب بامتلاك هذه الأمور؛ فدفعهم ذلك إلىٰ قهر غيرهم والتسلط عليهم بأخذ ما ليس لهم وإنقاص حقوق غيرهم.

---

(١) الكشاف للزمخشري ٤/ ٧١٩، ومدارك التنزيل للنسفي ٣/ ٦١٨

(٢) حاشية الشهاب علىٰ تفسير البيضاوي ٨/ ٣٣٤

(٣) روح البيان ١٠/ ٣٦٤

(٤) ينظر السابق

(٥) محاسن التأويل للقاسمي ٩/ ٤٢٨

(٦) ينظر أوضح المسالك لابن هشام ٣/ ٣٧، و شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب للجوجري ٢/ ٥٤٧.

٢- أن قوله: ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ يجوز أن تتعلق بـ﴿يَسۡتَوۡفُونَ﴾ علىٰ أنه مفعول به مقدم علىٰ الفعل.(١)، وفي هذه الحالة يفيد الاختصاص.(٢) أي: "يَسْتَوْفون علىٰ الناس خاصةً، فأمَّا أنفسُهم فَيَسْتَوْفون لها."(٣)؛ لأن تقديم الجار والمجرور علىٰ الفعل أسلوب من أساليب القصر يفيد خصوص الفعل فيمن تعلق به.(٤) فكأن أخذهم من الناس بالزيادة ـ وهو المعنىٰ الذي فسرته أو كشفته هذه الصفة ـ بلغ من تمكنه منهم وشهرته عنهم درجة الخصوص بهم بحيث أصبح لا يسأل عنه وكأنه مركب فيهم وعلامة عليهم ومن طباعهم التي تُذكر بذكرهم؛ فإذا ذُكر المطففون ذُكر أنهم علىٰ الناس يستوفون.

٣- تناسب دلالة التعبير بالاكتيال مع الاستيفاء؛ لما فيه من الحيلة التي تمكنهم من أخذ الزيادة، فعند البقاعي: "كأنه ذكر ﴿ٱكۡتَالُواْ﴾ ولم يذكر «اتزنوا»؛ لأنه لا يتأتىٰ في الوزن من المعالجة ما يتأتىٰ في الكيل، ولأنهم يتمكنون في الاكتيال من المبالغة في الاستيفاء المؤدي إلىٰ الزيادة ما لا يتمكنون من مثله في الاتزان، وهذا بخلاف الإخسار فإن التمكن بسببه حاصل في الموضعين فلذلك ذكرهما فيه."(٥) فالاكتيال يناسب الاستيفاء؛ لأن فيه من الحيلة لأخذا الزيادة ما ليس في الوزن.

---

(١) ينظر مدارك التنزيل للنسفي ٣/ ٦١٨، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٢/ ٤٦٠ ، والبحر المحيط لأبي حيان ١٠/ ٤٢٦، والدر المصون للسمين الحلبي ١٠/ ٧١٦

(٢) ينظر السابق

(٣) البحر المحيط ١٠/ ٤٢٦، وينظر الدر المصون للسمين الحلبي ١٠/ ٧١٦

(٤) ينظر إرشاد العقل السليم ٩/ ١٢٥

(٥) نظم الدرر ٢١/ ٣١٣

٤ـ كما يتوافق هذا الكشف الدلالي لهذه الصفة مع سبب نزول الآية، وهو ما يمثل سياقا خارجيا يعين علىٰ فهم الآية، فقد روي أنها نزلت في أهل المدينة عندما قدمها رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووجدهم يسيئون كيلهم ووزنهم لغيرهم، ويستوفون لأنفسهم. أو عندما قدمها ووجد بها رجلا يقال له: أبو جهينة، كان معه صاعان، يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر.(١)؛ فهذا السياق يؤكد علىٰ المعنىٰ الذي كشفته الصفة المذكورة.

٥ـ ويتعانق هذا المعنى الذي كشفته هذه الصفة مع الوقف؛ ففي هذه الآية يجوز الوقف علىٰ (هُم) من: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ [المطففين:٣]. علىٰ أن(هُم) في موضع النصب وهو راجع إلىٰ الناس، والأصل: كالوا لهم، أو: وزنوا لهم، فحذف الجار وأوصل الفعل بنفسه، وهي لغة أهل الحجاز؛ يقولون: وزنتك حقك، وكلتك طعامك، بمعنىٰ: وزنت لك وكلت لك.(٢)

وعليها جاء قول الشاعر:

ولقَـدْ جَنيتُـكَ أكَمُـؤاً وعَسـاقِلاً ولقَـدْ نَهيتُكَ عَـن بَنـاتِ الأوبَـرِ(٣)

---

(١) أسباب النزول للواحدي١/ ٤٧٤، والتفسير الوسيط ٤/ ٤٤٠، وينظر معالم التنزيل للبغوي ٥/ ٢٢١

(٢) ينظر جامع البيان للطبري٢٤/ ٢٧٨، واللباب لابن عادل ٢٠/ ٢٠٧، وغرائب القرآن للنيسابوري ٦/ ٤٦٣

(٣) البيت من الطويل ، ومعنىٰ جنيتك: يَعْنِي جنيت لَك.(جمهرة اللغة(ب ر و) ١/ ٣٣٠) الكَمْءُ: نَبات يُنَقِّضُ الأَرضَ فَيَخْرُجُ كَمَا يَخرج الفُطْرُ، وَالْجَمْعُ أَكْمُؤٌ وكَمْأَةٌ (لسان العرب(ك م أ) ١/ ١٤٨) والعُسْقُولةُ: ضربٌ من الكَمْأَة لَونُها بين البياض والحُمْرة، ويُجْمَعُ عَساقِل(العين(ع س ق ل) ٢/ ٢٩٠) أو هي: شيء يشبه الفطر وليس به، وهو طويل يؤكل ويسمىٰ العرجون أيضا(الجيم لأبي عمر الشيباني(باب العين) ٢/ ٣٣٣) وَبَنَات أوبر: ضرب من الكمأة صغَار رَدِيء(جمهرة اللغة(ب ر و) ١/ ٣٣٠) أو هي: كمأة صغار مزغبة، علىٰ لون التراب.(الصحاح(و ب ر)٢/ ٨٤٢)، ولم أعثر له علىٰ نسبة فيما طالعته من مصادر.

أي: جنيت لك."[1] **كما يجوز الوقف على** كالوا، ووزنوا، والابتداء بـ(هُم) علىٰ أن (هُم) ضمير رفع مؤكد للواو، عائد علىٰ المطففين، وجعل كالوا ووزنوا مكتفيين بأنفسهما.[2]، **وهذه الصورة من الوقف ـ على ما فيها من الأخذ والرد عند العلماء [3] ـ إلا أن بها دلالة على مزيد العناية بإظهار أنهم الفاعلون** من خلال الوقف علىٰ الفعل والابتداء بالضمير (هُم)؛ لحرصه علىٰ نسبة الفعل إليهم كما نسب إليهم في﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ وبهذا تضع هذه الصورة من الوقف أمام المتلقي صورة أخرىٰ للمطففين يستحقون بها الذم والدعاء بالويل وهي

(١) اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٢٠٧

(٢) ينظر جامع البيان للطبري ٢٤/ ٢٧٨، وبحر العلوم للسمرقندي ٣/ ٥٥٦ ، واللباب لابن عادل ٢٠/ ٢٠٧.

(٣) فقد صوَّب فريق من العلماء الوقف علىٰ "كالوهم، ووزنوهم" كاملة من غير فصل بينهما وبين الضمير(هم)، ورأىٰ أن الوقف علىٰ (كال)و (وزن) والابتداء بالضمير(هم) من قبيل الخطأ؛ لأن الفعلين (كال)و (وزن) لو كانا مكتفيين، وكانت (هم) كلاما مستأنفا عائدا علىٰ المطففين، لكُتب الفعلان بألف فاصلة بينها وبين (هم) ليوافقا نظائرهما في الكتابة العربية، لكن كتابتهما في خط المصحف في هذا الموضع بغير ألف أوضح دليل علىٰ أن (هم) مفعول به وليس مبتدأ. (ينظر جامع البيان ٢٤/ ٢٧٨، وبحر العلوم للسمرقندي ٣/ ٥٥٦، واللباب لابن عادل ٢٠/ ٢٠٧، وغرائب القرآن للنيسابوري ٦/ ٤٦٣)، إلا أن فريقا آخر رأىٰ صحة هذا الوقف؛ لأن التعلق في إبطاله بخط المصحف، وأن الألف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك؛ لأن خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط، وقد جاء في الكتب المخطوطة بأيدي الأئمة المتقنين هذه الألف مرفوضة، لكونها غير ثابتة في اللفظ والمعنىٰ جميعًا؛ لأن الواو وحدها معطية معنىٰ الجمع، وإنما كتبت هذه الألف تفرقة بين واو الجمع وغيرها في نحو: هم لم يدعوا، وهو يدعو، فمن لم يثبتها رأىٰ أن المعنىٰ كافٍ في التفرقة ولا حاجة للألف.(ينظر اللباب لابن عادل ٢٠/ ٢٠٧، وغرائب القرآن للنيسابوري ٦/ ٤٦٣)

صورة إعطائهم للناس بالإخسار أي النقص، فإذا كان قوله:﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ يصور حالة أخذهم من الناس بالزيادة فإن قوله:﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ عند الوقف علىٰ الفعل والابتداء بـ(هُم) علىٰ أنها ضمير عائد علىٰ المطففين يصور حالة أخرىٰ لهؤلاء تتعانق مع حالة أخذهم من الناس وهي حالة إعطائهم للناس بالإخسار أي بالنقص، ويكون المعنىٰ: إذا أخذوا من الناس استوفوا، وإن تولوا هُم علىٰ الخصوص الكيل أو الوزن أخسروا.(١)؛

ووضع الصورتين أمام المتلقي يؤكد تمكنهم من تلك العادة الذميمة التي تقلل من مروءتهم ودينهم في الأخذ والإعطاء، يقول النيسابوري:"ومن قلة مروأتهم ودينهم أنهم كانوا متمكنين في الإعطاء من البخس في الكيل وفي الوزن جميعا ولهذا قال سبحانه ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ ﴾وأما في الأخذ فالميزان غالبا يكون بيد البائع فلا يتمكن المشتري من التصرف فيه بالزيادة المعتد بها فإن الكفة تميل بأدنىٰ ثقل، وإنما يتمكن في الاكتيال بأن يحتال في مكياله بالتحريك ووضع اليد عليه بقوّة."(٢)، ويؤكد علىٰ هذا أن الذم إنما لحقهم لا لحالة واحدة وهي الأخذ من الناس، وإنما للحالتين معا: الأخذ منهم والدفع إليهم، فعند الرازي:" الذم إنما لحقهم بمجموع أنهم يأخذون زائدا، ويدفعون ناقصا."(٣)

❁❁❁❁❁

(١) اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٢٠٧

(٢) غرائب القرآن للنيسابوري ٦/ ٤٦٣

(٣) مفاتيح الغيب للرازي ٣١/ ٨٣

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على من ختمت برسالته الرسالات، وبعد، فقد توصل البحث إلى بعض النتائج والتوصيات، وهي:

١ـ التأكيد علىٰ أن غاية علم النحو تتجاوز مسألة ضبط أواخر الكلم وملاحظة الإعراب والبناء إلىٰ مسألة المعنىٰ.

٢ـ الصفة الكاشفة صفة يُراد بها الكشف بها عن أمر مُبهَم في الموصوف يميزه من سائر الأجناس التي قد تشترك معه أو تشتبه به، من غير قصد إلىٰ إخراج غيره.

٣ـ الصفة الكاشفة صفة لا يراد بها التقييد، بمعنىٰ أنه لا يحترز بها عن موصوف لم تتوفر فيه.

٤ـ رأت الدراسة قصور تعريف الفقهاء للصفة الكاشفة بأنها: الصفة المُبَيِّنَةُ لحقيقة متبوعها كقولهم: الجسم الطويلُ العريضُ العميقُ يحتاج إلىٰ فراغ يَشْغَلُه. لأنه وإن لاحظ دورها في بيان حقيقة متبوعها إلا أنه أهمل دورها في تمييزه من سائر الأجناس التي قد تشترك معه في هذه الحقيقة، كما أهمل التنبيه علىٰ مدىٰ تحقق دورها الوظيفي من جهة كونها قيدا لغويا يحترز به عن غير الموصوف بها؛ هل يخرج بها أم لا؟

٥ـ مَثَّلت الصفة الكاشفة في القرآن الكريم أشكال أو أثواب الصفة في النحو العربي؛ فقد وردت في أشكال: اللفظ المفرد، والجملة، وشبه الجملة.

٦ـ ظهر بجلاء ما للصفة الكاشفة في القرآن الكريم من دور وظيفي أو أثر دلالي في الكشف عن كثير من الأمور التي تميز الموصوف من الأجناس التي قد تشترك معه أو تشتبه به، ومنها: قلة قدره أو حجمه، وعظمته

وفخامته، ومظاهر العظمة فيه، وأصل خلقته، وجهته، وترتيبه سواء أكان في الذكر أم في الموقع أم في التاريخ، ورتبته أو ترتيبه في المنزلة أو التعظيم، ومذهبه أو معتقده، وبلوغه النهاية والغاية في أمر من الأمور، وعلة وجوده، وبعض الانفعالات النفسية التي قد تعتريه كالخوف، و موجب هذا الانفعال أو الشعور، ومراحل تكونه أو أطواره، إلىٰ غير ذلك مما وضحته الدراسة.

٧ـ مَثَّلَت العناصر اللغوية وغير اللغوية التي تحيط بالصفة الكاشفة سياقا داخليا وخارجيا لهذه الصفة تُفَسَّر في ضوئه ويؤكد علىٰ دورها الوظيفي وأثرها الدلالي.

٨ـ اختلف نظر هذه الدراسة إلىٰ الصفة الكاشفة عن نظر علماء أصول الفقه؛ فعلىٰ حين نظر إليها الأصوليون علىٰ أنها قيد مهمل لا مفهوم له ـ نظرت إليها هذه الدراسة علىٰ أن لها دورا وظيفيا وأثرا دلاليا يلقي بظلاله علىٰ المعنىٰ القرآني، ويأبىٰ لها أن توصف بأنها قيد مهمل أو لا مفهوم لها؛ لأن هذا مما يوحي بأنها لفظة فقدت قيمتها الدلالية في القرآن الكريم أو وقعت حشوا أو زيادة أو يمكن الاستغناء عنها.

٩ـ نَظَرُ الفقهاءِ إلىٰ الصفة من شأنه أن يساوي بينها وبين غيرها من المفردات النحوية التي تقع قيودا مهملة عند الفقهاء كالصفة المؤكدة والشرط والعدد؛ لأنها جميعا تتفق في كونها مهملة لا مفهوم لها ولا أثر لها في الحكم، أما نظر الدراسة الحالية فيأبي لها المساواة بغيرها من القيود النحوية؛ إذ ينظر إليها علىٰ أنها مفردة نحوية لها موقعها الإعرابي

الذي تؤدي من خلاله دورا وظيفيا وأثرا دلاليا مستقلا لا يكون بدونها ولا يصلح له أو ينهض به قيد لغوي آخر.

١٠ـ خالف الباحث بعض اللغويين، ووافق بعضهم، ورجح بعض الأقوال علىٰ بعضها الآخر، وكانت له أدلته في كل هذه المواقف.

ـ وأخيرا توصي هذه الدراسة بأمرين:

الأول: ضرورة أن تقوم دراسات علىٰ رصد الأثر الدلالي أو الدور الوظيفي لبقية أنواع الصفة في القرآن الكريم.

الثاني: ضرورة أن تُكَثّف الجهود والدراسات في مجال دراسة المصطلحات اللغوية التي نقلت أو استعملت في علوم أخرىٰ غير لغوية؛ لمعرفة المقصود بها في هذه العلوم، والوقوف علىٰ مدىٰ توافقه أو اختلافه مع المقصود به عند علماء اللغة؛ لأن المصطلح قد يفقد في العلوم الأخرىٰ قيمته الدلالية في اللغة، أو يوضع لما لا يليق بمكانته ودوره الوظيفي في اللغة.

ثبت المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم برواية حفص.

ثانيا: الكتب المطبوعة والأبحاث المنشورة:

١. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (ت ٩١١هـ) تح: محمد أبو الفضل ط: الهيئة المصرية ١٩٧٤م.

٢. إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي(ت٩٨٢هـ) ط: إحياء التراث-بيروت

٣. أسباب نزول القرآن للواحدي(ت٤٦٨هـ) تح: عصام الحميدان ط/ ٢ دار الإصلاح – الدمام ١٩٩٢م

٤. أصول تراثية في علم اللغة د. كريم زكىٰ حسام الدين ط٢: مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ١٩٨٥م.

٥. إعراب القرآن الكريم: أحمد عبيد الدعاس ط/ ١ : دار المنير ودار الفارابي – دمشق، ١٤٢٥ هـ

٦. إعراب القرآن للنَّحَّاس (ت ٣٣٨هـ) تح: عبد المنعم خليل ط:١ دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١ هـ

٧. إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين درويش (ت ١٤٠٣هـ)، ط٤ دار اليمامة، دمشق، بيروت: ١٤١هـ

٨. ألفاظ وردت في القرآن الكريم لا مفهوم لها (الصفة الكاشفة) دراسة نظرية تطبيقية. أ.د. حامد محمد المجرب (بحث منشور بمجلة الزهراء ـ العدد الثامن والعشرون.)

٩. أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل للرازي (ت٦٦٦هـ) تح: عبد الرحمن المطرودي ط١: دار عالم الكتب ـ السعودية: ١٩٩١م

١٠. أنوار التنزيل للبيضاوي (ت٦٨٥هـ) تح: محمد عبد الرحمن، ط١: إحياء التراث، بيروت: ١٤١٨هـ.

١١.أوضح المسالك إلىٰ ألفية ابن مالك لابن هشام (ت ٧٦١هـ) تح: يوسف البقاعي ط: دار الفكر.
١٢.إيجاز البيان عن معاني القرآن للنيسابوري(ت ٥٥٠هـ)تح: حنيف القاسمي ط/ ١ دار الغرب-بيروت: ١٤١٥ هـ
١٣.الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) تح: محمد خفاجي ط/ ٣، دار الجيل – بيروت
١٤.البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) تح: صدقي جميل ط: دار الفكر، بيروت: ١٤٢٠ هـ.
١٥.البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة(ت١٢٢٤هـ) تح: القرشي ط: د.حسن زكي القاهرة: ١٤١٩هـ
١٦.البداية والنهاية لابن كثير (ت ٧٧٤هـ) تح: علي شيري ط/ ١، دار إحياء التراث العربي: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م
١٧.البرهان في علوم القرآن للزركشي (ت ٧٩٤هـ) تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ط/ ١ البابىٰ الحلبي ١٩٥٧م
١٨.بيان المعاني: عبد القادر بن ملّا حويش(ت ١٣٩٨هـ) ط/ ١، مطبعة الترقي – دمشق: ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٥ م
١٩.تاج العروس للزَّبيدي(ت١٢٠٥هـ) ط: المجلس الوطني، الكويت
٢٠.تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري(ت٣٩٣هـ) تح: أحمد عطار، ط٤: دار العلم، بيروت: ١٩٨٧م
٢١.التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت ٦١٦هـ) تح: علي محمد البجاوي
٢٢.التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم(ت٨١٥هـ) تح: ضاحي عبد الباقي ط:١، دار الغرب١٤٢٣هـ
٢٣.التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) ط: الدار التونسية، تونس: ١٩٨٤ هـ.

٢٤.تحفة المحتاج في شرح المنهاج لا بن حجر الهيتمي(ت٩٧٤هـ) ط: المكتبة التجارية ـ مصر ١٩٨٣م.
٢٥.التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزَيّ الكلبي(ت٧٤١هـ) تح: عبد الله الخالدي، ط١: دار الأرقم، بيروت: ١٤١٦ هـ
٢٦.التصريح بمضمون التوضيح: خالد الأزهري(ت ٩٠٥هـ) ط١ دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان ٢٠٠٠م
٢٧.التعريفات للشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ط١: دار الكتب العلمية بيروت: ١٤٠٣هـ =١٩٨٣م.
٢٨.تفسير ابن فورك (من أول سورة نوح – إلىٰ آخر سورة الناس) للإمام العلَّامة: أبو بكر محمد بن الحسن ابن فورك (ت٤٠٦) تح: سهيمة بنت محمد ط/ ١ : جامعة أم القرىٰ – السعودية: ١٤٣٠ – ٢٠٠٩ م
٢٩.التفسير الحديث: دروزة محمد عزت ط: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ١٣٨٣ هـ
٣٠.تفسير الراغب الأصفهاني(ت ٥٠٢هـ) تح: د. محمد بسيوني ط:١ كلية الآداب ١٩٩٩ م
٣١.تفسير الشعراوي ط: مطابع أخبار اليوم ١٩٩٧م
٣٢.تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي(ت٣٢٧هـ) تح: أسعد الطيب ط٣: السعودية ١٤١٩هـ.
٣٣.تفسير القرآن للسَّمَعاني(ت ٤٨٩هـ) تح: ياسر بن إبراهيم، ط١: دار الوطن، الرياض: ١٤١٨هـ =١٩٩٧م
٣٤.التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب (ت ١٣٩٠هـ) ط: دار الفكر العربي – القاهرة.
٣٥.تفسير المراغي(ت١٣٧١هـ) ط/ ١، البابىٰ الحلبي، ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م
٣٦.تفسير المنار: محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) ط: الهيئة المصرية

العامة للكتاب ١٩٩٠م.
٣٧.تفسير جزء عم د مساعد بن سليمان بن ناصر الطَّيَّار ط/ ٨ دار ابن الجوزي: ١٤٣٠هـ
٣٨.تهذيب اللغة للأزهري(ت٣٦٠هـ)، تح: محمد مرعب ٢، ط١: دار إحياء التراث، بيروت: ٢٠٠١م
٣٩.التوقيف علىٰ مهمات التعاريف للمُناوِي (ت ١٠٣١هـ) ط١: عالم الكتب، القاهرة: ١٩٩٠م
٤٠.جامع البيان للطبرىٰ(ت ٣١٠هـ) تح: أحمد شاكر ، ط١: مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠ م
٤١.جامع العلوم في اصطلاحات الفنون للقاضي بن عبد الرسول(ت ق ١٢هـ) ط/ ١ دار الكتب العلمية ٢٠٠٠م.
٤٢.الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت٦٧١هـ) تح: أحمد البردوني وآخر، ط٢: دار الكتب-القاهرة: ١٩٦٤ م
٤٣.الجدول في إعراب القرآن الكريم، لمحمود صافي (ت ١٣٧٦هـ)، ط٤ دار الرشيد، دمشق: ١٤١٨هـ
٤٤.جمهرة اللغة لابن دريد(ت ٣٢١هـ) تح: رمزي منير بعلبكي ط١: دار العلم للملايين، بيروت: ١٩٨٧م
٤٥.حاشية الشهاب علىٰ تفسير البيضاوي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِىٰ وكِفَايةُ الرَّاضِىٰ عَلَىٰ تفْسيرِ البَيضَاوي لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت ١٠٦٩هـ) ط: دار صادر - بيروت .
٤٦.حاشية الصبان (ت ١٢٠٦هـ) علىٰ شرح الأشمونىٰ لألفية ابن مالك ط:١، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٧م.
٤٧.حجة القراءات لأبي زرعة بن زنجلة، تح: سعيد الأفغاني ط: دار الرسالة.
٤٨.الحجة في القراءات السبع لابن خالويه(ت٣٧٠هـ) تح: د. عبد العال

سالم ط٤ : دار الشروق، بيروت: ١٤٠١هـ.
٤٩.الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة: زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٩٢٦هـ) تح: د. مازن المبارك، ط١ : دار الفكر المعاصر، بيروت: ١٤١١هـ = ١٩٩١م.
٥٠.خزانة الأدب للبغدادي(ت١٠٩٣هـ) تح: عبد السلام هارون، ط٤: الخانجي، القاهرة: ١٩٩٧م
٥١.الدر المصون للسمين الحلبي(ت ٧٥٦هـ) تح: د. أحمد محمد الخراط، ط: دار القلم، دمشق
٥٢.الرابط وأثره في التراكيب في العربية د. حمزة عبد الله النشرتي (بحث منشور بمجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، العددان السابع والستون والثامن والستون الصادر في رجب ـ ذو الحجة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).
٥٣.روائع البيان تفسير آيات الأحكام : محمد علي الصابوني ط/ ٣، مكتبة الغزالي – دمشق ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م
٥٤.روح البيان لإسماعيل حقي الإستانبولي الخلوتي (ت ١١٢٧هـ)، ط: دار الفكر، بيروت
٥٥.روح المعاني للآلوسي(ت ١٢٧٠هـ) تح: علي عبد الباري ط:١، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٥هـ
٥٦.زاد المسير لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) تح: عبد الرزاق المهدي ط١: دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤٢٢ هـ
٥٧.سر صناعة الإعراب لابن جني(ت٣٩٢هـ) تح: د. هنداوي ط١: دار القلم، دمشق: ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م
٥٨.شرح ابن عقيل(ت ٧٦٩هـ) علىٰ ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين ط:٢٠، دار التراث – القاهرة ١٩٨٠م
٥٩.شرح الكافية الشافية لابن مالك (ت ٦٧٢هـ) تح: عبد المنعم هريدي

ط١ : أم القرىٰ ـ مكة المكرمة.
٦٠.شرح شذور الذهب: محمد بن عبد المنعم بن محمد الجَوجَري (ت٨٨٩هـ)، تح: د. نواف بن جزاء الحارثي، ط١: عمادة البحث العلمي، المدينة المنورة: ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٤م
٦١.شعب الإيمان للبيهقي(ت٤٥٨هـ)، تح: عبد العلي حامد، ط١: مكتبة الرشد-الرياض: ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٣ م
٦٢.شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان الحميرىٰ(ت ٥٧٣هـ) تح: د. حسين بن عبد الله العمري، ط١: دار الفكر، بيروت: ١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩م ط : عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه.
٦٣.الصفة الكاشفة في القرآن الكريم (بيانها وأنواعها) أ.د فهد بن عبد الرحمن الرومي (بحث منشور بمجلة تبيان للدراسات القرآنية العدد(١٨) سنة ١٤٣٦هـ).
٦٤.عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل لابن البناء المراكشي(ت ٧٢١هـ) تح: هند شلبي ط/ ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان: ١٩٩٠ م
٦٥.غرائب القرآن للنيسابوري(ت٨٥٠هـ) تح: زكريا عميرات ط:١ دار الكتب العلميه – بيروت ١٤١٦هـ
٦٦.غريب القرآن لابن قتيبة(ت ٢٧٦هـ) تح: أحمد صقر ، ط: دار الكتب العلمية: ١٩٧٨ م
٦٧.فتح القدير للشوكاني(ت١٢٥٠هـ) ط١: دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت: ١٤١٤هـ
٦٨.فقه اللغة وسر العربية للثعالبي(ت ٤٢٩هـ)تح: عبد الرزاق المهدي ط١: إحياء التراث: ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م
٦٩.القاموس المحيط للفيروزآبادي ط ٨: مؤسسة الرسالة بيروت: ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
٧٠.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ط٣:

دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧ هـ
٧١.كشف المعاني في المتشابه من المثاني لأبي عبد الله الكناني (ت ٧٣٣هـ) تح: د.عبد الجواد خلف ط/ ١، دار الوفاء ـ المنصورة١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م.
٧٢.الكشف والبيان للثعلبي(ت٤٢٧هـ) تح: أبي محمد بن عاشور ط/ ١، إحياء التراث، بيروت ٢٠٠٢ م
٧٣.الكليات لأبي البقاء الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) تح: عدنان درويش ط: مؤسسة الرسالة – بيروت
٧٤.لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن(ت٧٤١هـ) تح: محمد شاهين ط:١، دار الكتب العلمية–بيروت ١٤١٥هـ
٧٥.اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري(ت٦١٦هـ) تح: عبد الإله النبهان، ط١: دار الفكر، دمشق: ١٩٩٥م.
٧٦.اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (ت ٧٧٥هـ) تح: عادل عبد الموجود ط/ ١: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٤١٩ هـ =١٩٩٨م
٧٧.لسان العرب لابن منظور (ت٧١١هـ)، ط٣: دار صادر، بيروت: ١٤١٤هـ.
٧٨.لطائف الإشارات للقشيري (ت ٤٦٥هـ) تح: إبراهيم البسيوني ط:٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٧٩.اللغات في القرآن رواية أبي أحمد عبد الله بن الحسين بن حسنون السامري (ت٣٨٦هـ) بإسناده إلىٰ ابن عباس، حققه ونشره: صلاح الدين المنجد، ط١: م مطبعة الرسالة، القاهرة: ١٩٤٦م
٨٠.اللمع في العربية لابن جني (ت ٣٩٢هـ) تح: فائز فارس ط: دار الكتب الثقافية – الكويت
٨١.المجتبىٰ من مشكل إعراب القرآن: د. أحمد الخراط ط: مجمع الملك فهد ـ المدينة المنورة: ١٤٢٦ هـ

٨٢.المحرر الوجيز لابن عطية (ت ٥٤٢هـ) تح: عبد السلام محمد، ط١: دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٢ هـ.
٨٣.المحكم لابن سيده (ت٤٥٨هـ) تح: هنداوي، ط١: دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢١ هـ = ٢٠٠٠ م
٨٤.مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي(ت٧١٠هـ) تح: يوسف علي ط١: دار الكلم، بيروت: ١٩٩٨م.
٨٥.المستدرك علىٰ الصحيحين للحاكم(ت٤٠٥هـ) تح: مصطفىٰ عطا ط/ ١، دار الكتب العلمية-بيروت: ١٩٩٠م
٨٦.مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب(ت٤٣٧هـ) تح: حاتم الضامن ط/ ٢ الرسالة-بيروت: ١٤٠٥هـ.
٨٧.معالم التنزيل للبغوي (ت ٥١٠هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي،ط١: إحياء التراث العربي: ١٤٢٠ هـ.
٨٨.معاني القرآن للفراء(ت ٢٠٧هـ) تح: أحمد النجاتي ط١: دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر
٨٩.معاني القرآن وإعرابه للزجاج(ت ٣١١هـ) ط/ ١، عالم الكتب – بيروت ١٤٠٨ هـ =١٩٨٨ م
٩٠.معاهد التنصيص لأبي الفتح العباسي(ت٩٦٣هـ) تح: محمد عبد الحميد ط: عالم الكتب-بيروت
٩١.معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم للسيوطي(ت٩١١هـ)تح: محمد عبادة ط/ ١ الآداب-القاهرة ٢٠٠٤م
٩٢.مفاتيح الغيب للرازي(ت٦٠٦هـ) ط٣: دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤٢٠هـ.
٩٣.المفردات في غريب القرآن للأصفهاني(ت ٥٠٢هـ) تح: صفوان عدنان ط١: دار القلم، دمشق: ١٤١٢هـ
٩٤.مقاييس اللغة لابن فارس (ت٣٩٥هـ) تح: عبدالسلام هارون، ط: دار

الفكر ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
٩٥.المنهاج الواضح للبلاغة: حامد عوني ط: المكتبة الأزهرية للتراث
٩٦.الموسوعة القرآنية: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (ت ١٤١٤هـ) ط: مؤسسة سجل العرب، ١٤٠٥ هـ.
٩٧.النحو المصفىٰ: محمد عيد ط: مكتبة الشباب
٩٨.النحو والدلالة د. محمد حماسة عبد اللطيف ط١: دار الشروق – القاهرة ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.
٩٩.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (ت ٨٨٥هـ) ط: دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة
١٠٠.النكت الدالة علىٰ البيان في أنواع العلوم والأحكام: أحمد محمد بن علي القصَّاب (ت ٣٦٠هـ) تح: شايع بن عبده بن شايع الأسمري، وآخرون ط/ ١، دار القيم – دار ابن عفان: ١٤٢٤ هـ= ٢٠٠٣ م
١٠١.النكت والعيون للماوردي(ت ٤٥٠هـ) تح: السيد عبد المقصود ط: دار الكتب العلمية – بيروت
١٠٢.نهاية المحتاج إلىٰ شرح المنهاج لابن أبي العباس الرملي (ت ١٠٠٤هـ) ط:أخيرة: دار الفكر، بيروت ١٩٨٤م.
١٠٣.نيل المرام لأبي الطيب القِنَّوجي(ت١٣٠٧هـ) تح: محمد حسن ط: دار الكتب العلمية ٢٠٠٣م
١٠٤.الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي(ت٤٦٨هـ) تح:عادل عبد الموجود ط١: دار الكتب العلمية١٩٩٤م.

❁❁❁❁❁